PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

حياة يوسف

تأليف

الدكتور ف. ب. ماير

عربه بتصرف

حافظ داود

يطلب من

مكتبة جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية

بشارع سمعان شبرا مصر

مطبعة الامانة ٥٨ شارع الفجالة بمصر

((AECA))
B5580
.J6 M3912

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR
32101 0141020555

يوسف الصبي الصغير

« وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحاً . ومهما صنع كان الرب ينجحه »

« كيف اصنع هذا الشر العظيم وأخطىء الى الله »

« ليس انتم ارسلتموني الى هنا بل الله »

« انتم قصدتم بي شراً اما الله فقصد به خيراً »

مقدمة المعرب

مجداً للثالوث الاقدس الآب والابن والروح القدس

دون لنا الكتاب المقدس لمحة بسيطة عن حياة بعض ابطال العهد القديم والعهد الجديد . ولا شك فى أن من ضمن اغراض الوحى الالهى من تدوين هذه السير أن تكون لنا أنواراً نهتدى بها وسط ظلمات هذه الحياة

وهذه سيرة احدى تلك الشخصيات البارزة ، حياة يوسف ، الذى كان من ابرز صفاته الامانة المطلقة ، امانة لوالده فى اطاعة امره مهما كلفته الطاعة من مشقة ثم فى البرّ به فى شيخوخته ، امانة لاخوته فى اقتفاء اثرهم لطلب سلامتهم ثم فى عدم الانتقام منهم بل اعالتهم هم واولادهم فى محنتهم ، امانة لفوطيفار فى خدمة بيته وكل مصالحه ثم فى موقفه المشرف مع امرأته ، امانة للمسجونين فى خدمتهم ثم فى تفسير احلام البعض منهم ، امانة لفرعون فى تفسير احلامه ثم فى ادارة البلاد ادارة حازمة ، امانة للمصريين وكل سكان الارض فى تخزين القمح فى سنى الشبع ثم فى توزيعه فى سنى الجوع ، امانة

لمبادئه السامية ولو كلفته الامانة اعماق السجون ، امانة لالهه فى تمسكه به كخادم حقير وكسجين ذليل وكأمير شريف

كان يوسف شاباً فى عنفوان القوة وفى شبابه جُرّب بأقسى ما يجرب به الشبان ، ولكنه وقف ثابتاً لا يتزعزع مع توالى التجربة عليه اياماً . وهو فى ذلك يقدم مثالا عالياً للشبان ويقودهم الى سر الغلبة

شرب يوسف كأس الآلام حتى الثمالة ، وفى كل ادوار حياته نراه لا يتطرق الشك الى قلبه ولا يتسرب الوهن الى عزيمته ولا تدب عوامل اليأس والفشل فى نفسه . وهو فى ذلك يقدم مثالا حياً للمجربين والحزانى لكى يرفعوا عيونهم الى الجبال من حيث يأتى العون

كانت حياة يوسف خليطاً بين المر والحلو ، مرت عليها فترات ارتفاع كما مرت عليها فترات انخفاض . وفى جميع هذه الظروف المتناقضة ظل ثابتاً على حال واحدة ؛ ظل متمسكا بكماله . وهو فى ذلك يقدم لنا اعظم مثال فى الثبات على المبدأ مهما تنكر لنا العالم او تغير ، ومهما ابكى او اضحك

فالى الشبان الذين احبهم حباً جماً والذين قد أوقفت حياتى لخدمتهم ، الى الذين قد مست قلوبهم نيران التجارب والآلام الذين تعطف عليهم السماء وكل سكان السماء ؛ الى الذين يعبرون برية هذه

الحياة المليئة بالمرتفعات والمنخفضات اقدم هذا الكتاب متوسلا الى القدير ان يجد فيه كل قارىء تعزية لنفسه وبركة لحياته

واعترافاً بالجميل اقرر هنا شكرى القلبى لتلك الجمعية الفتية — جمعية المحبة القبطية الارثوذكسية بالقاهرة — التى قد هيأها لنا الرب فى الايام الأخيرة لنشر المؤلفات النافعة والكتب النفيسة ، والتى قد اصبحت توفر على المؤلف او المعرب ذلك المجهود الشاق الذى كان عليه ان يبذله فى الطبع والنشر والتوزيع ، والتى نرجو لها النمو والازدهار . كذلك لا يفوتنى ان اقدم شكرى الوافر لحضرة الباحث المدقق الأستاذ توفيق اسكاروس الذى تكرم باعارتنا سفراً نفيساً اخذنا عنه الصور التى حلينا بها صفحات هذا الكتاب ؟

حافظ داود

٧ أمشير سنة ١٦٥٣

١٤ فبراير سنة ١٩٣٧

الفصل الأول

يوسف فى أيامه الأولى

(تك ٣٧)

فى بلاد حاران التى قضى فيها يعقوب زهرة شبابه فى خدمة خاله لابان ولد يوسف من زوجته المحبوبة راحيل بعد أن تعوقت عن الولادة زمناً طويلاً . ترعرع الصبي مدللا فى أحضان تلك العائلة التى كانت تنتظر ولادته سنوات عدة . ولكنه لم يلبث طويلا حتى فوجىء بمصيبة — هى أشد ما ينكب به الاولاد والبنات فى حداثة سنهم — فقد ماتت أمه راحيل . . . راحيل التى كانت محبوبة من والديها ، محبوبة من زوجها ، محبوبة من الخدم . راحيل التى كانت تحب ابنها يوسف حباً جماً . ماتت راحيل وكان يوسف لا يزال فتى غضاً فى العقد الأول من حياته ولا شك أن هذه المصيبة قد أثرت فيه أشد التأثير ، وكأن المصائب أبت إلا أن تكون حليفة له منذ صباه . ولكن أليست حياته وحياة الكثيرين من أولاد الله الذين انتفع العالم من خدماتهم وتضحياتهم

مدينة كلها للمصائب والآلام . إن كان الأمر كذلك فرحباً بالمصائب و« جيد للرجل أن يحمل النير فى صباه » (مراثى ٣:٢٧)

نما الصبي يوسف فى العقل والحكمة أكثر من نموه فى الايام كما نقل الينا حكماء اليهود . وفضلا عن هذا فقد كان نقى القلب يشع نور القداسة من وجهه . لهذا فقد أحبه ابوه محبة خاصة لاسيما وقد كان يرى فيه ذكرى لأمه العزيزة راحيل . يضاف إلى هذا أنه كان ابن شيخوخته « وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته، فصنع له قميصاً ملوناً » تك٣٧:٣

ولو علم اسرائيل أن هذا القميص الملون سيجر على ولده وفلذة كبده كل تلك الآلام والمصائب التى تجرعها والتى نزعته عن احضانه الابوية فحزت فى حشاشة قلبه وأفقدته كل لذة فى الحياة وأعدمته بصره وكدرت أيامه — لما كان قد فكر فى أن يصنع له هذا القميص .

كان هذا القميص لا يلبسه إلا أولاد الاشراف والملوك والنبلاء ، كان لا يلبسه رجال العمل الذين يجب ان يأكلوا خبزهم بعرق جبينهم . أما اخوته فقد كانوا يلبسون الملابس البسيطة ولهذا فلما رأوه بالقميص ادركوا انه قد كتب لاخيهم الراحة والهناء ولهم التعب والشقاء . « فلما رأى اخوته أن أباهم أحبه

أكثر من جميع إخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام » ع ٤

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل أن يوسف قد « أتى بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم » ع ٢ . وقد يبدو لنا لأول وهلة أن هذه صفة ذميمة لأننا قد تعلمنا أن « المحبة تستر كثرة من الخطايا » ولكن لا بد أنه كانت هنالك ظروف تستدعى أن يوقف يوسف أباه على كل أخبار إخوته . ان المحبة الصادقة تلزمنا فى بعض الأحيان ان نفضح خطايا اصدقائنا واعزائنا ومن يعيشون معنا ان كنا لا نفلح فى معالجة الأمر بأنفسنا . لأننا إن تركناهم يستمرون فى شرورهم فقد يتوغلون فيها حتى يسقطوا فى هاوية لا قرار لها .

وفضلا عن ذلك فالأرجح أن يوسف كان مكلفاً من قبل والده أن يأتى اليه بأخبارهم

ويوسف بعمله هذا كان غيوراً على شرف العائلة الذى كان قد سبق فلوثوه بين سكان الأرض (تك ٣٤ : ٣٠) . وكان غيوراً على مجد الله الذى كان يجدف على اسمه دواماً بأفعالهم الرديئة . لهذا لم يشأ أن يخفى عن أبيه شيئاً من تصرفاتهم الأثيمة .

من أجل ذلك « أبغضوه » ، « لأن كل من يعمل السيآت

يبغض النور » (يو ٣ : ٢٠) . قال آخاب عن ميخا « لكنى أبغضه لأنه لا يتنبأ علىّ خيراً بل شراً » (١مل ٢٢ : ٨) . قال المسيح لتلاميذه « لا يقدر العالم أن يبغضكم ولكنه يبغضنى أنا لأنى أشهد عليه أن أعماله شريرة » يو ٧ : ٧ وهذه هى الحال فى كل العصور والاجيال . فان كان العالم يحبنا ويذكرنا بكلمات المديح والثناء لحق علينا أن نتساءل عما إذا كنا ملحاً وسط فساد هذا العالم وأنواراً وسط ظلماته . لأننا نعلم انه عندما نحيا الحياة الصالحة المصلحة لا نطيق السكوت على ما نراه حولنا من المظالم والشرور . وهذا يسبب بغض الكثيرين لنا . قال أحد حكماء اليونان قديما « أى شر صنعت حتى يمدحنى جميع الناس »

على أن هنالك ما سبب ازدياد حقد اخوة يوسف له — الأحلام التى رآها . كل الشبان يحلمون عن مستقبلهم وعن النجاح الذى يتوقعونه والمراكز الرفيعة التى تنتظرهم . ولكن كثيراً ما كانت هذه كلها أضغاث أحلام . أما يوسف فقد كانت أحلامه اعلاناً من السماء ، وقد كانت تتضمن لا رفعته فحسب بل سيادته على اخوته « فازدادوا أيضاً بغضاً له » ع ٥

وهنالك سبب آخر هو اساس كل هذا البغض الذى قام فى صدورهم : عندما سقط آدم بغواية الحية خاطب الله الحية قائلا « وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها » تك ٣ : ١٥

ومنذ ذلك الوقت الى الآن ـ بل الى نهاية الحياة ـ قام الصراع بين اولاد الله واولاد الشيطان . فقد قام بين قايين وهابيل ، قام بين الملايين من البشر . وقد مرّرت العداوة حياة العائلات وخربت البيوت . وهذه هى التى اهاجت اخوة يوسف على اخيهم .

ايها القارىء العزيز . هل اختبرت فى حياتك ذلك الاختبار المر الذى اختبره يوسف؟ هل صوبت الايام سهامها المريرة نحو قلبك الطاهر بدون ذنب ولا جريرة ؟ هل مررت الآلام والمظالم نفسك حتى كادت تبتلع من فرط اليأس ؟ تشجع واذكر ان غيرك قد جاز هذا الطريق من قبل . لقد جازه المسيح ايضاً اذ عاملته اخوته اليهود بنفس المعاملة . استمر فى عمل الخير دون ان ترهب احداً من خصومك . كن رقيقاً رحيماً مسامحاً محتملا . احذر من ان ترد الظلم عن نفسك بنفسك . لا تنتقم لنفسك بل أعط مكاناً للغضب . اقتف نفس الآثار التى سلكها المخلص لانه قد ترك لنا مثالا لكى نتبع خطواته . انه لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر . واذ شتم لم يكن يشتم عوضاً . واذ تألم ظلماً وعدواناً لم يذكر مضطهديه حتى بعدل الله بل كان صامتاً كالحمل الوديع ، ولم يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل (١بط ٢ : ٢٢ و٢٣)

وماذا كانت نتيجة يوسف ؟ صحيح ان بغض اخوته له قد نفذ الى قلبه ولكن احلامه قد تحققت حرفياً فى الوقت المعين الذى

حل اخيراً بعد انتظار طويل ، كما رفع المسيح الى عرش المجد عن يمين الله رئيساً ومخلصاً . وانت يامن تتجرع كأس الآلام الآن ! ثق بانه لا بد ان يأتى اخيراً ذلك الوقت الذى يظهر الله فيه حقك ويرفع عنك احزانك . « اتكل على الرب وافعل الخير ... سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجرى . ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة » مز ٣٧ : ٣ — ٩ انتظر الرب واصبر له ... كف عن الغضب واترك السخط ولا تغر لفعل الشر لان عاملى الشر يقطعون . والذين ينتظرون الرب هم يرثون الارض ...

يوسف في الجب

الفصل الثانى

يوسف فى الجب

(تك ٣٧)

ارسالية يوسف

كان يعقوب مقيماً فى ذلك الوقت فى حبرون التى سكن فيها ابرهيم واسحق من قبله . ومع ان اراضيها خصبة إلا انها لم تتسع لكل مواشى يعقوب ، لهذا اضطر اولاده لرعاية الغنم فيما جاورها من الاراضى . وقد ظلوا يتابعون مسيرهم فى رعاية الغنم حتى وصلوا الى ارض شكيم ، وهنالك وقعت حزازات بين اهل شكيم وبين اولاد يعقوب وهذا ما حدا به إن يقول ليوسف ابنه « أليس اخوتك يرعون عند شكيم »(ع ١٣) ونظراً لانه كانت قد مضت مدة طويلة انقطعت فيها عنه كل الاخبار عن سلامة اولاده لذلك اضطر ان يركب الصعب

لم يكن معه فى حبرون سوى يوسف وبنيامين اللذين احبهما

الى المنتهى بسبب محبته المفرطة التى كان يحملها فى قلبه نحو امهما. وكان بنيامين صغير السن اما يوسف فكان قد بلغ السابعة عشرة. فكر يعقوب فى إرسال يوسف ليأتيه بأخبار اخوته ولكنه تردد طويلا خوفاً على حياته . وأخيراً ... قال له « تعال فارسلك اليهم... اذهب انظر سلامة اخوتك... ورد لى خبراً » (ع ١٣و١٤)

لم يتردد يوسف لحظة واحدة فى اطاعة امر والده رغم علمه بالأخطار الكثيرة التى كانت تنتظره — أخطار عدم وجود المياه ، اخطار اللصوص ، اخطار الوحوش ، اخطار الليالى التى يبيتها منفرداً فى الطريق ، اخطار اخوته الأشرار الذين ابغضوه بشدة . ولكنه لم يحتسب لشىء ولا حسب نفسه ثمينة عنده اع ٢٠ : ٢٤ بل اجاب على الفور « هانذا » حالما علم إرادة والده . « فأرسله »

على ان يوسف لم يذهب فى طلب اخوته لمجرد إطاعته لأمر ابيه والا لكان قد عاد الى ابيه حالما ادرك انهم قد تركوا شكيم بامان وولوا وجوههم نحو مكان آخر . ولكنه طلبهم لأنه احبهم ولهذا فقد استمر فى البحث عنهم حتى وجدهم .

ألا تشير هذه الارسالية الى ارسالية اعظم . ان المسيح لم يمل من ان يدعو نفسه « مرسلا من الآب » فانه يندر ان تجد صحيفة من انجيل يوحنا لم يكرر فيها المسيح هذا القول « لم آت من نفسى لكن الآب ارسانى » . وكم كان يحلو للمسيح ان

هذا قميص ابني

يتردد على بركة « سلوام » (وتفسيرها « مرسل ») لأن اسمها يحمل فى طياته تعبيراً لاسمه : وهكذا صارت هذه العبارة مألوفة لكتبة العهد الجديد « الآب ارسل الابن ليخلص العالم »

لا شك فى أن ساعة وداع يوسف لأبيه كانت مرة على نفس يعقوب، وهذه يقدرها تماماً أولئك الذين فقدوا أولادهم الاعزاء. ومن ذا الذى يستطيع ان يصف مقدار ما كان الآب الذى فى السماء عندما أرسل ابنه الوحيد الى العالم . لا شك ان هذه تدل على شدة محبة الله لنا . لهذا يقول « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » تأمل فى هذه الكلمة « هكذا » اى « بهذا المقدار »

على ان مخلصنا لم يأت الى العالم لمجرد إرساله اليه بل لأنه قد احبه . انه قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك . انه جاء بوجه خاص ليخلص اخوته ، خاصته — اليهود . لقد كانت وجهة نظره كما قال يوسف « انا طالب إخوتى » . وهو لم يكتف بطلب المفقود بل ظل يسعى حتى وجده . وهكذا فعل يوسف الذى ظل يبحث عن اخوته حتى وجدهم فى دوثان .

ان مثل الخروف الضال ومثل الدرهم المفقود لا يقلان اهمية عن مثل الابن الضال لاننا نجد فى كل منهما ان البحث ظل مستمراً حتى امكن العثور على المفقود . ايها القارىء العزيز ! قد يكون المسيح

مستمراً فى البحث عنك بالذات وقد تكون انت غير راغب فى البحث عنه او تنقصك الشجاعة لذلك . ولكن تشجع فانه لن يهدأ له بال حتى يجدك .

استقبال يوسف

« فلما ابصروه من بعيد قبلما اقترب اليهم احتالوا له ليميتوه » ع ١٨ ولولا توسلات رأوبين أخيهم الأكبر لكانوا قد نفذوا مؤامرتهم الشريرة ومثلوا به أشر تمثيل « فكان لما جاء يوسف الى إخوته انهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملون الذى عليه وأخذوه وطرحوه فى البئر » ع ٢٣ و٢٤ . لقد شهدت الأرض كثيراً من الجرائم التى ارتكبت بين البشر ، ولكن لعلها لم تشهد جريمة أدل على الوحشية والحطة والجبن والدناءة أكثر من هذه . فكيف يتصور العقل أن تسعة رجال بالغين يجتمعون معاً على صبى صغير أعزل — هو أخوهم .

وبعد أن مرت السنون نراهم يقولون بعضهم لبعض « حقاً اننا مذنبون الى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع » ص ٤٢ : ٢١ تأمل فى الصورة التى تقدمها لنا هذه العبارة . انه ليخيل الينا الآن يوسف فى تلك الأيدى القاسية كحمل وديع بين أنياب وحش مفترس . اننا نتصوره الآن

يجاهد للخلاص من أيديهم تارة بالتوسلات وأخرى بالدموع . تارة يتوسل اليهم بحق والدهم العجوز وأخرى بحق الاخوة . ولكن كل هذه ذهبت أدراج الرياح

تأمل كيف تنمو بذرة الشر . لقد بدأت بذرة إجرام هؤلاء الأخوة عندما بدأوا يحسدون أخاهم . فلو أنهم تغلبوا على تلك الخطية فى بدايتها لكانوا قد استراحوا من شرورها وبلاياها التى جرتها فى أذيالها . ولكنهم مع الأسف الشديد سمحوا لهذه الجرثومة أن ترعى فى صدورهم « والشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً » . فاحرص كل الحرص من أن تدع جرثومة واحدة للخطية تتملك على قلبك لأن فى ذلك خطراً محققاً . تصرف نحو هذه الجرثومة كما تتصرف نحو جرثومة الحمى التى تدخل بيتك فى بداية الأمر . وحالما تشعر بالخطية أطلب تطهير قلبك بدم المسيح

لاحظ بأن الخطية التى لم تغفر تكون مصدر عذاب مستمر للضمير . لقد توالت السنون ولكنها لم تستطع أن تمسح من ذاكرتهم تلك النظرة وتلك الصرخات وذلك المنظر الذى شهدوه فى دوثان . ولا شك فى أنهم حاولوا مراراً أن يطرحوا تلك الجريمة فى بحار النسيان ولكنها كثيراً ما كانت تباغتهم حتى فى أشد ساعات العمل ازدحاماً . ولا مشاحة فى أن والدهم الشيخ

الذى حزن على إبنه باعتبار أنه قد مات ، كان أسعد حالا منهم هم الذين كانوا يعلمون أنه حى . وهكذا ترى أن جريمة واحدة قد تظلم الدنيا طول الحياة . يظن البعض أن رحمة الله تقف حائلا دون قصاص البشر ولكنه قد خلق العالم على أن تكون الخطية هى نفس جزئها العادل . وكل من قد تثقل كاهله بخطية لم تغفر تتمثل أمامه دواماً تلك الديدان التى لا تموت والنار التى لا تطفأ .

على أن أحزان يوسف كانت رمزاً لأحزان المسيح . « جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله » لأنهم قالوا « هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه » مت ٢١ : ٣٨ وبعد ذلك أمسكوه وقتلوه واقتسموا ثيابه بينهم . لقد باعوه للأمم ثم جلسوا يرقبونه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة . أن أحزان يوسف تذكرنا بتلك الأحزان والآلام التى انهالت فوق هامة السيد قبيل الصليب . كما أن براءة يوسف تذكرنا ببراءة ذلك الحمل الذى بلا عيب والذى شهدت بكماله الاعداء قبل الأحباء حتى ساعة الصليب ، فقد أضطر أحد الأعداء أن يعترف قائلا « انى لست أجد علة فى هذا الانسان »

على أن وجه الشبه بين يوسف والمسيح لا يستمر الى النهاية بل يقف عند حد . فان آلام يوسف وقفت عندما وصلت به الى حافة الموت أما المسيح فقد ذاق كأس الموت . كانت آلام يوسف شخصية أما آلام المسيح فقد كانت كفارية لانه « مات عنا »

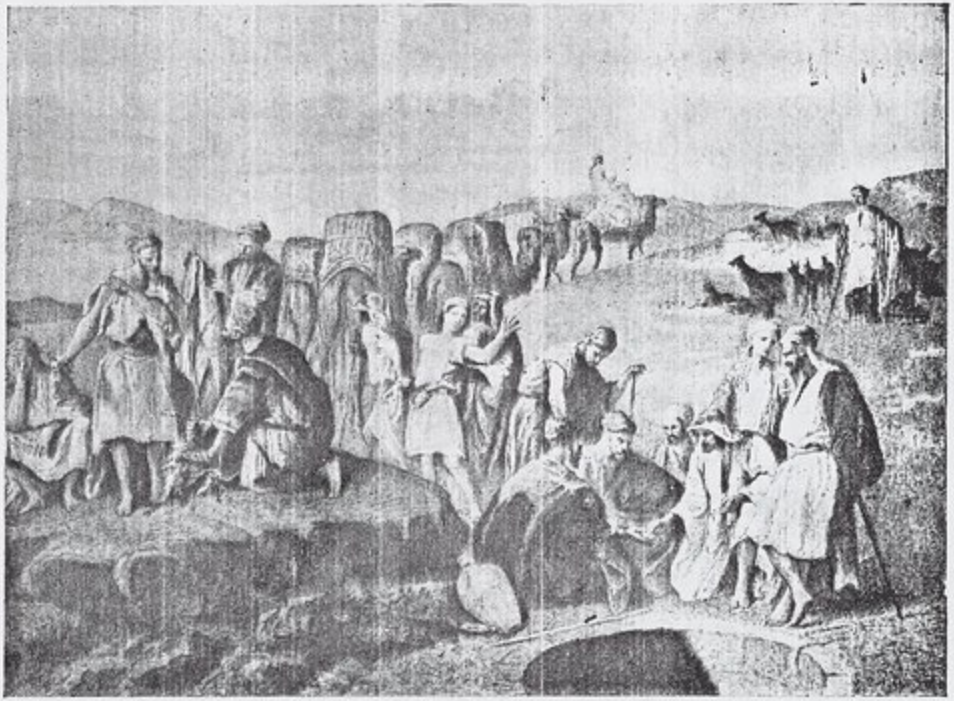

وباعوه للاسماعيليين بعشرين من الفضة

ولأنه « أسلم نفسه لأجلنا ». لم يكن فى آلام يوسف قوة التكفير عن خطية مضطهديه ، أما آلام المسيح فلم تكن فيها قوة التكفير عن خطية قاتليه فقط بل عن خطية الجميع « وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » ١ يو ٢ : ٢

مصير يوسف

« ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً » ع ٢٥ جلسوا ليتناولوا غذاءهم كعادتهم بقلوب قد قدت من حديد كأنه لم يحدث حادث يسترعى إهتمامهم ويشغل بالهم . وفى هذه الاثناء مرت بهم إحدى قوافل العرب فى طريقها إلى مصر . وفى الحال تطورت أفكار هؤلاء المتآمرين فتشاوروا فى أمر بيعه حيث اعتادت تلك القوافل شراء جنى العبرانيين وبيعهم أرقاء فى مصر التى يكثر فيها هذا الطلب . وقد استراحوا لهذه الفكرة التى قدمها اليهم يهوذا لأنهم رأوها أحسن وسيلة للتخلص من يوسف وفى نفس الوقت للتخلص من تلك الجريمة الشنيعة جريمة قتل أخيهم . وعملا بهذه المشورة « اصعدوه من البئر وباعوه للأسماعيليين بعشرين من الفضة » (نحو ثلاثة جنيهات) لانه لم يكن المال هو المهم فى نظرهم .

وهكذا رأى يوسف نفسه موثقاً وفى طريقه الى الاستعباد فى أرض غريبة . ألم يكن هذا أشد إيلاماً على نفسه من الموت . يا لها

من الآم مبرحة قد مزقت قلب ذلك الشاب الغض . فلا شك فى أنه كان متلهفاً ليرسل كلمته الأخيرة لأبيه . ثم انه فى نفس الوقت قد تكون بعض الأفكار جالت بخاطره من نحو الله القادر على كل شىء الكلى المحبة الذى تعود أن يعبده وكيف سمح أن يجوز عبده الأمين فى هـذه المظالم . لاشك انه فى ذلك اليوم الرهيب لم تكن عيناه مفتوحتين ليدرك ان هـذا اليوم المظلم كان حلقة ذهبية فى سلسلة عناية الله ومحبته ، او ليدرك بأنه سيأتى اليوم الذى فيـه يستطيع ان يخاطب اخوته قائلا « لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لانه لاستبقاء حيوة قد ارسلنى الله قدامكم »

كم هو حلو جداً للنفس ـ عندما تمر أيام الحياة ـ أن يستطيع المرء أن ينظر الى تلك الحوادث المظلمة والحوادث الغامضة ويتلمس فيها يد الله بعد أن كان لا يرى فيها سوى خبث الانسان وقسوته . ولا شك انه سيأتى اليوم الذى فيه نستطيع أن نتحدث هكذا عن كل صحائف الحياة السوداء التى مرت بنا فى الحياة

لقد خان يوسف إخوته وكذلك الحال مع المسيح الذى خانه صاحبه ، لقد بيع يوسف بدريهمات معدودات وكذلك بيع المسيح . لقد بيع يوسف كعبد وأحصى المسيح مع الاثمة ، لقد قصد إخوة يوسف به شراً ولكن الله صنع به خيراً وهكذا كانت الايدى

الأثيمة التى صلبت رب المجد تقصد اهلاكه ولكن موته كان حياة للعالم وبذلك تمت مشورة الله المحتومة وعلمه السابق

ان الله يستطيع ان يجعل غضب الانسان يحمده وبقية الغضب يتنطق بها مز ٧٦ : ١٠ « يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما ابعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الأستقصاء » رو ١١ : ٣٣

الفصل الثالث

فى بيت فوطيفار

(تكوين ٣٩)

لما بيع يوسف إلى المديانيين أتوا به إلى مصر وهنالك فى أحد أسواق العبيد عرضوا سلعتهم . وقد كانت تلك الأسواق غاصة بالعبيد الذين كان يؤتى بهم من الممالك المجاورة وخاصة من أواسط وجنوب أفريقيا

وقد كان نصيب تلك السلعة من حظ فوطيفار رئيس الشرط الذى كان له سلطان واسع المدى فكان له أن يحيي من يشاء ويميت من يشاء

ولما وجد يوسف نفسه فى بيت هذا الرئيس العظيم — ولا شك أنه كان قصراً منيفاً — أخذ بمظهره وفخامته حيث كان قد نشأ فى بيت أبيه المتواضع وما يكتنفه من مظاهر الحياة البسيطة . على أن الله « كان معه » وقد كان شعوره برفقة الله أياه وحراسته له باعثاً على تسكين نفسه وحفظها فى سلام الله الكامل . وهو إن كان قد حرم من رؤية كل من درج معهم وعرفهم وأحبتهم نفسه

اما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار

إلا أنه كان يجد راحة بل قوة عظمى عندما ينظر إلى الأجنحة الرمزية الكثيرة التى كانت تمتلىء بها أبنية المصريين إذ كانت تذكره بعناية الله الغير المحدودة التى تبسط أجنحتها لحماية ورعاية كل أولاده الأمناء . فمن ذا الذى لا يفضل أن يكون يوسف فى أرض مصر مع الله عن أن يكون كأولئك الأخوة الذين ينعمون بالوجود مع أبيهم وفى بلادهم ، وأيديهم ملوثة بالدماء ونفوسهم مثقلة بالشعور بالاثم ؟

والآن لنتأمل فى مصير يوسف فى بيت فوطيفار

(١) نجاح يوسف : (وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحاً) ع ٢ كان كل عمل تمتد اليه يداه يلاقى أعظم النجاح . لهذا كان فوطيفار وأهل بيته يعتقدون فيه القدرة على حل كل عقدة وتذليل كل عقبة وانجاح كل مسعى . وقد كان ذلك يرجع لسببين :—

اولا) أنه ولو كان قد جرد من قميصه الملون ولكنه لم يجرد من اخلاقه وصفاته . فاحرصوا جميعاً أيها الشبان لئلا تجردوا من أخلاقكم . انكم تستطيعون أن تعوضوا كل شىء إلا أخلاقكم .

كان يوسف مجداً نشيطاً مطيعاً يوثق به فانه عندما أرسل للبحث عن أخوته لم يتمم وصية والده بالحرف فقط بل بالروح ايضاً ولم يهدأ له بال حتى جد فى أثرهم من شكيم الى دوثان . وقد كانت هذه هى الروح التى طبعت عليها حياته . فكل عمل أعطى له كان

يتممه على الوجه الأكمل لا لأنه أمر أو اضطر لاتمامه بل لأنه كان يرى أن الله ندبه اليه ليعمله . وكان فى كل أعماله اليومية يقرأ إرادة الله ومشيئته الصالحة . كان يحدث نفسه كل يوم بتلك العبارة التى نطق بها فيما بعد : لقد أرسلنى الله الى هنا تك ٤٥ : ٥ كان الاعتقاد الذى يسوده هو أنه يخدم لا فوطيفار بل إله ابرهيم واسحق . كان يعتقد بانه يستطيع أن يحيا فى بيت فوطيفار حياة التقوى والأمانة كما كان يقضى تلك الايام الطويلة السعيدة فى خيمة يعقوب — وهذا ما فعله تماماً . وهذه الصفات هى التى أكسبته الضمير الحى والشعور المستيقظ وهذه الصفات هى التى تضمن النجاح فى جميع الأعمال

بينما كان العبيد رفقاؤه يبعثرون أوقاتهم، كان هو يشغلها بالامور الحيوية النافعة ؛ وبينما كانوا يقنعون بان تتم الواجبات المفروضة عليهم، كان هو يفتق ذهنه لاتمامها على أحسن حال — الى حد الكمال والنجاح ؛ وبينما كانوا يعملون لاتقاء غضب رؤسائهم أو سياطهم ، كان هو يعمل لاستجلاب رضاء سيد جميع البشر الذى كان يرى بأن عينيه متطلعتان اليه أبد الدهر

ولا شك فى أنهم كثيراً ما كانوا يتفرسون فيه بنظرة الحسد ظانين فيه حسن الحظ ؛ ولم يدروا بأن حسن الحظ معناه الاخلاق وأن الاخلاق معناها الله . فان رغبت فى تلك الاخلاق التى تضمن

لك النجاح فى الحياة ، فليس هنالك أساس آخر لها سوى يسوع المسيح . عليك أن تبنى على هذا الاساس وإلا أنهار بناؤك أمام أقل عاصفة . ابنِ على هذا الأساس حتى يعلو البناء وعندئذ تدرك أن « التقوى نافعة لكل شىء وأن لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة »

ثانياً) « أن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده . . . أن الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف . وكانت بركة الرب على كل ما كان له فى البيت وفى الحقل » ع ٣ و ٥ . ولم تكن هذه البركة امتيازاً اختص به يوسف دون سواه ولكنها قد وعد بها كل الذين يسمعون سمعاً لصوت الرب الاله ويحرصون للعمل بجميع وصاياه تث ٢٨ : ١ و ٢ . . كما أنها قد تكون من نصيبنا نحن أيضاً ان كنا نسير مع الله كما كان يوسف يسير . إننا لا ننتفع شيئاً إن كنا نصرخ مع يعبيص قائلين « ليتك تباركنى » دون أن نكمل الدعاء معه أيضاً قائلين « وتحفظنى من الشر » ١ أى ٤ : ١٠ وعندما تأتى « بركة الرب هى تغنى ولا يزيد معها تعباً » ام ١٠ : ٢٢ ليكن نصب أعيننا دواماً أننا طالما كنا نعيش فيجب أن يكون الرب معنا « الرب معكم ما كنتم معه . وان طلبتموه يوجد لكم - وان تركتموه يترككم » ٢ اى ١٥ : ٢

وقد يطلع على هذه الكلمات بعض الخدام من مختلفه

الأنواع ــ خدمة المنازل أو خدمة المصانع أو مستخدمو الحكومة . وإذا تصادف هذا فانهم لا شك سوف يجدون راحة وتعزية فى المثل الأعلى الذى يقدمه اليهم هذا الشاب . فانه لم يستسلم للأحزان والأفكار الكثيرة التى كان من السهل أن تخطر فى باله بسبب المأساة التى انتابته ، ولكنه منطق ذاته يروح الرجولة الكاملة وقام عن فوره ليتمم عمله الجديد الذى أعطى له . كان « أميناً فى القليل » فى العمل الحقير المتواضع الذى نُدب له . وهو قد آمن بأن الله ندبه للعمل الذى بين يديه ووثق بأن ارضاء الله يتوقف على ارضاء سيده الأرضى فى دائرة طاعته لله. وهذه هى الروح التى ينبغى أن تسود علينا فى اتمام كل واجباتنا . كان الرسل يقولون للعبيد الذين اعتنقوا المسيحية بفرح وآمنوا بالانجيل الذى منحهم حرية لا تقوى عليها القيود أو السلاسل « اثبتوا كما انتم » « الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليثبث فيها . دعيت وأنت عبد فلا يهمك . . . لأن من دُعى فى الرب وهو عبد فهو عتيق الرب ... ما دعى كل واحد فيه ... فليلبث فى ذلك مع الله » ١ كو ٧ : ٢٠ ــ ٢٤ « . . . أطيعوا فى كل شىء سادتكم حسب الجسد . . . ببساطة القلب خائفين الرب . وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس . . . لانكم تخدمون الرب المسيح » كو ٣ : ٢٢ ــ ٢٤ والمسيح ــ الذى أخذ صورة عبد ــ تألم

لأجلنا تاركاً لنا مثالا لكى تتبعوا خطواته ١ بط ٢ : ٢١

كل هذه الاصوات التى نطق بها الوحى قديماً لا زالت موجهة لكل للعبيد والخدام . ان أحقر الاعمال يمكن أن تؤدى بأرقى المبادىء . وانك لتستطيع أن تطأ عتبة مكان عملك الوضيع بروح الاحترام والمحبة التى تدخل بها هيكل الله بل قدس الاقداس فى السماء . لهذا لا يليق بأن نحتقر نصيبنا فى الحياة فقد يكون اسمى مما كنا نتوقع . فليس المهم نوع العمل بل طريقة تأديته : ومقياس قيمة الحياة وأهميتها يتوقف على الباعث الذى يحركنا فى كل أعمالنا . ان الرجل الوضيع قد يحقر أشرف الأعمال بروحه الشريرة ، أما الرجل النبيل فقد يشرّف أوضع الأعمال بنبله وشرفه وقد تصير موضع اعجاب السرافيم والشاروبيم .

وقد يطلع على هذه الكلمات بعض السادة . نحن لا نستطيع أن نقدر قيمة الخادم المسيحى الحقيقى ، ولكن سعيد هو البيت الذى يتشرف بخدمته . ولا شك أن فوطيفار قد أخذته الدهشة عند ما وجد أن البركة قد حلت فى بيته ، فانه قد أصبح وأمسى واذا به يجد أن جميع شئونه فى الحقل وفى البيت قد تقدمت تقدماً محسوساً بل ملموساً لم يكن يحلم به من قبل . ولا شك فى أنه قد ساءل نفسه كثيراً عن سبب هذا النجاح كما أنه ربما لم يخطر فى باله

فى أول الامر أنه بسبب العبد العبرانى . « ان الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف » ع ٥ لقد كافأ الرب فوطيفار جزاء مضاعفاً بسبب اعالته يوسف . وهذا ما لا يزال حاصلا الى الآن ، فكم من الاغنياء الغير المسيحيين قد حلت بركة الرب عليهم بسبب وجود أحد الخدم أو الموظفين المسيحيين فى خدمتهم . عند ما تدخل مقادس الله ونستطيع أن نتتبع أصل الاشياء سوف نكتشف أن الكثير من أعمق البركات التى تمتعنا بها فى حياتنا كانت بسبب صلاة أو وجود بعض أفراد أعزاء لدى الله كانوا مجهولين جداً فى هذه الحياة

(٢) تجربة يوسف . مضت السنون وأصبح يوسف رجلا ناجحاً وصار وكيلا على بيت سيده . « فترك كل ما كان له فى يد يوسف . ولم يكن معه يعرف شيئاً إلا الخبز الذى يأكل » ع ٦ وهنا التقى يوسف باعظم تجربة فى حياته

قد نجد التجربة فى أيام الرخاء والراحة أكثر مما نجدها فى أيام الفقر والتعب . نحن لا نجدها فى وقت التعب والجهاد أكثر مما نجدها فى أوقات الراحة والبطالة ، نحن لا نجدها عند ما يعبس لنا البشر بل عند ما يبتسمون لنا ابتسامة التملق والرياء . هنالك ينتظرنا المجرب ، فخذ حذرك أيها الاخ العزيز . ان كان لا بد من أن تكون

مسلحاً فى كل مكان فضاعف سلاحك هناك . « اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الجسد فضعيف »

عند ما تقدم التجربة من الناحية التى لم نكن نتوقعها فعندئذ يصعب مقاومتها . كانت المرأة المصرية فى تلك الايام تتمتع بحرية واسعة المدى لذا فقد انحطت كثيراً فى مستواها الادبى كما تشهد بذلك الآثار . وقد لا تكون امرأة فوطيفار أشر من سواها من بنى جنسها ولو أننا نخجل كل الخجل من مجرد قراءة مداعبتها ليوسف التى بلا شك لا بد أن تكون قد أحدثت هزة عنيفة فى نفسه ورسمت أمام مخيلته كثيراً من المناظر البشعة وذلك مما ضاعف قوة التجربة على نفسه البريئة . لقد رتبت عناية الله بنواميسه الطبيعية أن يستشعر ربان السفينة بالزوبعة قبل هبوبها — فى معظم الاحيان — فيأخذ حذره . ولكن مسكين ذلك الربان ان عصفت عليه العواصف فجأة . أيها المسيحيون ! احذروا العواصف الفجائية فكثيراً ما كانت غلطات البشر بسبب الطوارىء سبباً فى تحديد مصيرهم .

كثيراً ما وقفت السياسة والضمير موقفين متضادين امام التجربة

لقد وجد يوسف انه ينبغى ان يقف موقفاً حازماً امام امرأة سيده . هو كان يعلم ان فى ارضائها ضماناً لرفعته وتقدمه ، وان فى اغضابها مجلبة لعداوتها وهدماً لكل آماله . كم من اشخاص لو وقفوا هذا

الموقف لكانوا يقولون لا بأس من التسليم دقيقة واحدة لضمان مركز عظيم يستغلونه فيما بعد فى احسن الخدمات . وهذا معناه ان التسليم للشيطان مرة واحدة ينيل قوة يمكن استخدامها فيما بعد لخدمه . هذا هو تعليل السياسة ، وهو أشر مضل فى قلب الانسان هذه هى السياسة التى تقود الكثيرين عندما يجربون من رؤسائهم أو من اليهم فيقولون « لم تكن لى رغبة فى اتمام هذا الأمر وانما أنا قد سلمت لأن عيشى كان يتوقف على اتمامه . وأنا لم يكن فى وسعى أن أغضب ذلك الشخص أو هؤلاء القوم » .

أن السلاح الوحيد ضد السياسة هو الايمان الذى يتطلع الى المستقبل البعيد ويثق أن سوف يتضح فى النهاية أنه كان خيراً لنا أن نفعل الحق وأن ننتظر إظهار الله للحق وبركته لنا . وحقاً لقد كان خيراً ليوسف أن لا يصغى لايحاء السياسة ، فلو كان قد فعل كذلك لكان من المحتمل أن ينال نفوذاً أقوى قليلا فى بيت فوطيفار ولكنه لم يكن ممكناً أن يدوم ولما كان ممكناً أبداً أن يصل إلى منصب رئاسة الوزارة فى مصر أو يكون له بيت مستقل أو ينال بركة يعقوب لأولاده قبيل وفاته .

أن قوة التجربة تتوقف على مقدار استعداد طبيعتنا لاجابة مطالبها . أن يسوع وحده هو الذى لم تنل منه التجربة شيئاً لانها لم تجد فيه استعداداً لأطاعة مطالبها . أما نحن فلأن قلوبنا شريرة

فقد وجب علينا أن نكون فى غاية الحذر والأحتراس . « فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحيوة » . ليس هنالك خطأ فى أن تكون لنا أميال ورغبات خاصة ولكن الخطر هو فى إتمام هذه الرغبات الى حد الاسراف أو بطريقة خاطئة ، الامر الذى طالما انساقت اليه طبيعتنا البشرية لان « المياه المسروقة حلوة » ام ٩ : ١٧ . ولهذا فقد كانت تجربة يوسف شديدة الوطأة على نفسه

ينبغى أن نفرق بين الغرائز والأميال الطبيعية فينا وبين تلك التى اكتسبناها بتأثير العادات الشريرة . هذه الاخيرة ينبغى أن نقتلعها من جذورها أما الاولى فانها تستدعى انتباهاً وحذراً شديداً منا ، لانها ولو كانت طبيعية وجميلة فى حد ذاتها إلا أنها تميل دائماً الى إتمامها لحد الاسراف أو بالطرق الغير المشروعة . وطالما كنا فى هذه الحياة فينبغى أن لا نتوقع اقتلاع هذه الغرائز والاميال منا ، وطالما كانت فينا فان قوى الشر تحاول دائماً بذر بذور التجربة فيها . وأنت لن تجد رجلا عاقلا يدعى فى نفسه بانه بعيد عن التجربة أو عن التسليم للتجربة وهو يعرف أنه ضعيف ومن الضعف خلق فهو إن كان قد وقف ثابتاً فليس ذاك إلا بنعمة الله

لقد كانت هنالك مغريات خاصة للتجربة فى موضوع يوسف فقد كانت الفرصة سانحة للتجربة « لم يكن إنسان من أهل البيت هناك فى البيت » ع ١١ فلم يكن هنالك خطر من أن تذاع خطيته

كما أنه لم يكن معقولا أن تفضح تلك المرأة الشريرة نفسها بنفسها كذلك قد تكررت التجربة « يوماً فيوماً » ع ١٠ ولا شك ان ذلك زادها قوة . ان نقط المياه اذا توالت على الصخر أذابته ، والتجربة اذا توالت يوماً بعد يوم كان خطرها عظيماً .

ورغماً عن كل ذلك فقد ثبت يوسف أمام التجربة . فقد حكم عقله فى الامر ، قال انه اؤتمن فلا يليق بأن يخون الامانة . وفوق ذلك فقد حكم ضميره . وقال تلك الكلمات المأثورة التى كانت سر نصرة الكثيرين من المجربين فى كل العصور « كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء الى الله » ع ٩

لا شىء يستدعى من الكتاب والوعاظ والخطباء مجهوداً عظيما أكثر من محاربة خطية النجاسة ، فليس أقدر أو أسرع منها على افساد القلب واضعاف المواهب واتلاف الجسد . وليس أقدر ولا أسرع منها على اخراب الممالك والشعوب . وهوذا التاريخ شاهد عدل يحدثنا أن هذه الخطية كانت دائماً سبباً فى خراب الشعوب ، فالامة التى لا تجاهد فى سبيل تقويض أركان هذه الرذيلة تهدم نفسها بنفسها .

يظن البعض أن التجارب التى تحيط بالشبان فى المدن الكبرى كالقاهرة والاسكندرية وما اليهما أقوى من أن يستطيعوا الوقوف أمامها والتغلب عليها . ويظن الآخرون أن هذه الخطية أمر لا

جد منه . أما أنت ايها الحبيب فلا تصغ لهذه السخافات فان طهارة يوسف تهدم هذه النظريات السفسطية من أساسها . فان كل شاب يستطيع أن يقاوم ويستطيع ان يتغلب ويستطيع أن يكون طاهراً عفيفاً وعلى أى حال فعلينا أن نصغى لما يوحيه الينا الكتاب المقدس والعقل السليم ، وعلينا أن نتجنب كل الأماكن والكتب والأشخاص وكل ما ينتج فينا أفكار الشر . احذر بكل ما فى استطاعتك الثلمة الاولى ولو كانت بسيطة جداً التى يحاول الشيطان ان ينفذ منها الى قلبك لئلا يدخل منها الطوفان فيغرق الحياة برمتها واذكر أنه لا تستطيع أية تجربة التغلب عليك ما لم تجد منك استعداداً طبيعياً لاجابة رغباتها . وطالما كنت ضعيفاً على أن تغلق أمامها باب قلبك فسلمه لخلصك القدير وثق بأن كل قوات الجحيم لا تستطيع ان تفتح باباً قد سُلم للمسيح

« كيف أفعل هـذا الشر العظيم » وهذه يليق بان تكون شعاراً لنا جميعاً . « كيف أفعل هذا الشر العظيم » كيف أفعله أنا الذى مات المسيح من أجلى . كيف أفعل هذا الشر الذى كل ما فيه شر . كيف أفعل هذا الشر العظيم ويا له من جرم عظيم وشر مستطير . « كيف أخطىء الى الله » يظن البعض بأن هذه الخطية لا تمس إلا فاعلها ولـكن هى فى الواقع موجهة ضد قداسة الله .

قد يتساءل البعض قائلين : « ألم يكن أفضل جداً ان لا يدخل

يوسف بيت سيده فى ذلك الوقت وهو يعلم انه قد يعرض الى التجربة » ولكن من يدرى؟ فقد يكون محتما عليه الذهاب الى البيت فى ذلك الوقت . على انه قد فعل كل ما كان يجب عليه فانه كان يتحاشى الوجود معها على قدر استطاعته ع ١٠ فنحن يجب ان لا ننتظر ان يخلصنا الله من التجربة فى الوقت الذى ندفع انفسنا لها . ولكن ان اضطرتنا الظروف للوجود فى الوسط الذى قد نتعرض فيه للتجربة فلنتكل على الله الامين القادر ان ينجى . وان كان الروح يأخذنا الى البرية لنجرب فلننتظر ان نتمتع بخدمة الملائكة

لقد تصرف يوسف بحكمة اذ هرب . كثيراً ما كان حسن التصرف أحكم مظاهر الشجاعة والقوة . خير لك ايها الشاب ان تفقد ثوبك بل وأثمن ما تمتلك من ان تفقد ضميرك الحى « اهرب من الشهوات الشبابية » لا تتردد امام التجربة . لا تقرب اليها لئلا تخر صريعاً امامها . « اهرب لحياتك ، لا تنظر الى ورائك ولا تقف فى كل الدائرة » تك ١٩ : ١٧

ليس عليك لوم ان كنت تجرب ، فان القدوس البار الذى بلا خطية قد جرب من الشيطان . ولكن اللوم كل اللوم فى ان تخضع للتجربة . فقاوم التجربة فى أولها تسترح من اتعابها المستقبلة

ليت الرب يمنحنا النعمة والايمان لنقتدى بمثال يوسف .

وفوق كل شيء بمثال ذاك الذى لم يعرف خطية . ان الله امين وعادل اذ لا يدعنا نجرب فوق ما نستطيع بل سيجعل مع التجربة المنفذ ويمنح النعمة للغلبة . « كل من يثبت فيه لا يخطىء وكل من يخطىء لم يبصره ولا عرفه » ١يو ٣ : ٦

ولا تنس ايها الحبيب اننا نحن الذين نؤمن بيسوع نجلس معه عن يمين العظمة وان الله يخضع الشيطان تحت اقدامنا . سلم قلبك لذاك الذى قد غلب ويستطيع أن يغلب كل قوات العالم ١يو ٤ : ٤ ، يو ١٦ : ٣٣ وعندئذ سيعظم انتصارنا بالذى احبنا ؟

الفصل الرابع

سر الطهارة

(تك ٣٩)

(انظر أيضاً ام ٤ : ٢٣ ، ١ بط ١ : ٥ ، ٢ تى ١ : ١٢)

لقد تعلم يوسف معنى وبركة طهارة القلب قبل أن ينطق السيد المسيح بالتطويبات بمئات السنين، تلك التى قال فى احداها « طوبى للأنقياء القلب »

لا شك فى أن اولئك الذين قد مست نعمة الله قلوبهم واستطاعوا أن يحفظوا ثيابهم من دنس العالم ينالون احترام وأعجاب الجميع . يظن عامة الناس أن الطهارة مستحيلة فى هذه الحياة ، ولهذا فانهم كلما رأوا شخصاً قد ارتفع الى ذروة الفضيلة والقداسة نظروا اليه نظرة تعجب واندهاش

عندما خلق آدم كان يتمتع بحالة البر والقداسة الكاملة ولم تكن الشهوة تعرف سبيلا الى قلبه . ولكنه عندما سقط تبدل الحال

ونفذت الخطية الى قلبه فاختل التوازن فى كل مرافق الحياة . ومنذ ذلك الحين أصبحت غاية الانسان أشباع مطامعه وأهوائه الفاسدة

ويجب أن نذكر أننا بحسب قانون الوراثة قد فسدت أميالنا وأهواؤنا وأصبحنا جميعاً نميل بطبيعتنا للأكل مما نهينا عنه . يجب أن نذكر دواماً أننا أبناء آدم الذى قد تدنست طبيعته . وهذا ما يعبر عنه اللاهوتيون « بالخطية الأصلية » أو كما يعبر عنه الرسول بولس « ناموساً آخر فى أعضائى » رو ٧ : ٢٣

وطالما كنا فى هذا الجسد فنحن فى كل حين عرضة لهجمات التجربة ولكن سيأتى الوقت السعيد الذى يستبدل فيه جسد تواضعنا هذا بجسد اخر على شبه جسد مخلصنا بعد قيامته من الاموات . وعندئذ تبطل الحرب الكائنة بين الروح والجسد

ولكن هلا يوجد أمل فى هذه الحياة للخلاص من هذه العبودية ؟ لا شك فى أنه يوجد رجاء كبير . قد يحارب ذلك الناموس الآخر الكائن فى اعضائنا ناموس الذهن ومع ذلك فلا يستطيع ان يسبيه الى ناموس الخطية لانه محصن بناموس روح الحياة فى المسيح يسوع القادر ان يعتقنا من ناموس الخطية والموت رو ٧ : ٢١ — ٢٥ ، ٨ : ٢

ان القوة الوحيدة التى تستطيع ان تمنحنا النصرة على الطبيعة الفاسدة التى فينا هى قوة روح الله القدوس الساكن فينا . « اسلكوا

بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد لان الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد ... حتى تفعلون ما لا تريدون » غل ٥ : ١٦ و ١٧

طالما كنا فى هذا العالم فنحن عرضة لهجمات الشيطان . ومهما سمت حياتنا الروحية ودخلنا حتى الى قدس الاقداس فلا زلنا عرضة للتجربة طالما كنا فى هذا الجسد .

ولكن عند ما نمتلىء بروح الله القدوس يخر الشيطان تحت أقدامنا صريعاً مهما اشتدت التجربة ، ولا تعود بعد طبيعتنا تنجذب الى الغوايات الكثيرة التى تتقدم اليها من الخارج . بل والأكثر من ذلك أن الروح القدس عندما يتملك على القلب ينزع منه كل الأميال التى تنجذب الى الخطية ، فيحول محبة الشر الى كراهية وبذلك ننظر الى الشر بغير النظرة التى تعودنا أن ننظر اليه بها ونستقبح تلك المناظر التى كنا قديماً نستملحها ونجرى وراءها

ليت الرب يجعل هذا نصيب كل واحد من أولاد الله الذين يقرأون هذه الكلمات ؟

الفصل الخامس

فى أعماق السجن

(تك ٣٩ و ٤٠ ، مز ١٠٥ : ١٧ — ١٩)

ليختر لى ربى نصيبى الصالح
لئلا يسبب لى اختيارى السيء خسارة الخير العميم الذى قصده لى
ليختر لى ربى فان حكمته لا تخطىء قط
أما نحن فأغبياء وجهلاء
وعلينا بصبر واحتمال أن نقبل المتاعب والآلام
فان وراء التجربة المجد ، ووراء الصليب العرش

لم يكن بين الجب والسجن سوى فترة وجيزة استمتع فيها يوسف بالراحة والسعادة . فسرعان ما تلبد الجو أمامه بغيوم قاتمة . لأن فوطيفار لما سمع ذلك الاتهام الشنيع من زوجته وتحقق أن الثوب الذى فى يدها هو ثوب يوسف حمى غضبه ولم يشأ أن

يستوضح حقيقة الأمر بل طرحه فى السجن العام الذى كان موكلا اليه أمر إدارته

(١) قسوة الآلام التى تحملها

١ — لم يكن ذلك السجن الذى زج فيه كالسجون التى نشاهدها اليوم ، متوفر فيها الهواء والنور ويقوم بالأشراف عليها قوم بقى فى قلوبهم شىء من العطف والمحبة . فقد كانت السجون قديماً أشبه بالمغارات . كان السجن يحتوى على غرفتين أو ثلاث حشرت فيها اجسام عشرات من البشر ، يسودها الظلام الدامس وتملأها الروائح الكريهة — هذه كانت حال السجن الذى قضى فيه يوسف سنتين فى البؤس والشقاء . ولكى تتكون لديك صورة عن ذلك السجن تصور غرفة متسعة مظلمة جداً بلا نوافذ ، رصفت أرضيتها بالحجارة التى قد غطتها طبقات من الأقذار ، لا يدخلها نور ولا يجتـــازها هواء إلا عندما يفتح الباب لادخال الخبز والماء ، وهما القوت الوحيد الذى يعرفه السجين ، ليس هنالك أقل ترتيب للنظافة أو لفصل المسجونين بعضهم عن بعض ، لا يسمع طول الليل سوى صليل السلاسل الحديدية التى تثقلت بها أرجل هؤلاء المساكين البؤساء .

٢ — هذه كلها لم يكن من السهل ان يحتملها شاب قد تعود

ان يكون حراً طليقاً فى الصحارى السورية. ان الحبس مرعب للجميع ، على انه مرعب بنوع خاص للشبان ، وبنوع اخص للشبان الذين تجرى فى عروقهم دماء العرب ، الذين يخشون العبودية اكثر مما يرهبون الموت .

وقف مرة احد البحارة فى ساحة متسعة واشترى قفصاً به بعض العصافير واطلقها حرة ، ثم اشترى قفصاً ثانياً ثم ثالثاً ، وهكذا حتى تجمع الناس حوله منذهلين لهذا المنظر الشاذ . ولما اعترضه احدهم بالسؤال عن السبب فى هذا العمل الغريب اجابهم بانه قد قضى زمناً طويلا معذباً فى احد السجون وذاق فيه مرارة العبودية ولم يكن يعرف قبل ذلك معنى ولا سعادة الحرية ولهذا فانه يسر اذ يطلق هذه العصافير لتعود الى اوكارها حرة طليقة . ونحن كذلك لا نستطيع ان ندرك قيمة الحرية لاننا لم نحرم منها قط . وكذلك كان الحال مع يوسف فانه لم يكن يدرك قيمتها قبل ان زج فى اعماق السجن

٣ — وعلاوة على حشر السجن فقد كان يضايقه ايضاً صليل القيود الحديدية المستمر . صحيح انه كان يتمتع بالحظوى التى نالها فى عينى حارس السجن وبالمعاملة الاستثنائية التى كان يعامل بها ولكنه كان سجيناً وكلما كان يتحرك كان يذكره صليل القيود بانه سجين . وهذه الحالة تذكرنا بحالة شخص آخر من اولاد الله الذين

ذاقوا مرارة السجون ، هو بولس الذى اخذ مرة القلم ليدون توقيعه على احدى الرسائل ـ دليلا على صدقها ـ وشعر بمقاومة السلسلة التى توثقت بها يداه والتى بها ربط بجندى الحرس الامبراطورى . ونحن نستطيع ان نتسمع الى صليل تلك القيود كلما سمعناه يردد تلك الكلمات « اذكروا وثقى » كو ٤ : ١٨

٤ — وفوق كل ذلك فان معتقداته الدينية قد زادته تعذيباً . فانه كان قد تعلم من ابيه يعقوب تلك النظرية التى كثيراً ما رددها اصدقاء ايوب الثلاثة والتى كثيراً ما كان ينادى بها معلمو وفلاسفة الشرق فى تلك الايام وهى : ان الاخيار لا يصيبهم الا الخير والاشرار لا يصيبهم الا الشر ، وان النجاح علامة على رضى الله ، وان المصائب دليل على الغضب الالهى . وقد كان يوسف صالحاً . ألم يكن دواماً مطيعاً لوصايا واوامر ابيه مع ان اخوته كانوا اشراراً وكانوا يحاولون ان يجذبوه الى شرهم . ولكن ماذا جنى جزاء امانته وطاعته ؟ لم يجن سوى الحقد والبغضاء والغيرة المرة من اخوته فى اللحم والدم. ألم يكن فى عنفوان شبابه طاهراً عفيفاً فاستطاع ان يقف ثابتاً امام غواية تلك المرأة رغم شدة وطأة التجربة لانه ابى ان يخطىء الى الله ؟ وماذا جنى جزاء نزاهته هذه ؟ لم يجن الا ان لصقت به تهمة شنيعة كان بريئاً منها ورغم ذلك فقد نال قصاصاً مريعاً لم يكن يستحقه . ألم يكن شفيقاً محباً لزملائه المسجونين ينصت لاقاصيصهم واحلامهم

ويتكلم بالسلام الى قلوبهم ؟ وماذا جنى جزاء محبته وعطفه ؟ لم يجن شيئاً وقد يبدو اليه بانه كان الافضل ان يحتفظ بعطفه لنفسه .

وهل كانت هنالك اذاً أية فائدة لتقواه ؟ وهل كان صحيحاً ما تعلمه فى صغره ان الخير يأتى للصالحين والشر للطالحين ؟ وهل يوجد حقيقة إله يقضى بعدل فى الارض ؟ قد تستطيع ايها القارىء الكريم ان كنت قد زرعت بذور القداسة والمحبة ولم تحصد إلا الخيبة والفشل والآلام والبغضاء ـ قد تستطيع ان تحس ببعض احساسات يوسف وهو فى اعماق سجنه البغيض .

٥ ـ ثم ان مرارة الخيبة والفشل قد زادت كأسه مرارة ـ فماذا كان نصيب تلك الاحلام التى رآها فى ايامه الاولى منبثقة بعظمته والتى ملأت عقله وقلبه بالآمال والاماني ؟ أما كانت هذه الاحلام من الله ؟ لقد كان يظن انها من الله وكذا كان يعتقد ابوه الشيخ ، ولم يكن ظنه مبنياً على الحدس والتخمين فقد كانت صلته بالله وثيقة . هل انعدم الحق والصدق والامانة من السماء كما من الارض ؟ وهل كان اخوته قد نسوه تماماً ؟ وهل لم يفكروا فى البحث عنه ؟ وهل سيقضى بقية ايام حياته فى ذلك السجن الكريه ولا يعود يستنشق نسمات الحرية ـ وكل ذلك لانه قد تجاسر بان يفعل الحق ؟ وهل تعجب ان ملأ قلب ذلك الشاب الغض الحزن

والكآبة لدرجة اليأس والقنوط ؟

***

على أن يوسف لا يقف منفرداً وحيداً فى تلك الاختبارات المؤلمة . قد تكون أيها القارىء الكريم لم تذق مرارة السجون ولكنك قد تكون جزت بعض الظروف المظلمة التى حالت دون تحقيق آمالك . قد تكون سالكاً فى الحق وقد يؤدى بك سلوكك فى الحق الى بعض الضيقات والمتاعب التى لم تكن تتوقعها ، ولا شك فى أنك تميل فى ظروف كهذه أن تتساءل عن علة هذه المتاعب وانت نزيه امين للحق . او قد تكون صنعت احساناً لانسان ما كما فعل يوسف مع فوطيفار ولكنك لم تقابل منه إلا بالاساءة . ومن ذا الذى لا يعرف مرارة سوء تقدير الناس لفعاله وسوء ظنهم به واتهامهم اياه بالباطل .

(٢) بركة الآلام التى تحملها

١ — كانت أولى البركات التى تحملها يوسف — وهى أقلها قيمة — ان السجن كان سبباً فى خدمة مصالحه الزمنية . فقد كان ذلك السجن معداً لقبول مسجونى البلاط الملكى وحاشيته . قد لا ندرك الآن كثيراً أهمية مركز كل من رئيس السقاة ورئيس الخبازين اللذين كانا رفيقى يوسف فى السجن ، ولكنهما كانا فى وقتها واسعى السلطة والنفوذ . فوجوده مع هذين الرجلين يكسبه دراية واسعة

فى الشئون السياسية وفى الأمور العامة ، وهذه لا شك قد أفادته كثيراً فى أيامه التالية

٢ — على أنه يوجد ما هو أهم من ذلك . تأمل فى مز ١٠٥ : ١٨ حيث يتكلم المرنم عن سجن يوسف تجده يقول « فى الحديد دخلت نفسه » او بتعبير آخر « الحديد دخل الى نفسه » ألا يوجد كثير من الحق فى هذا التعبير . فان الحزن والوحشة دخلت الى نفس ذلك الشاب الغض فاكسبته صلابة وقوة واحتمالا وتجلداً ، وهذه كلها صفات لازمة للخلق النبيل القويم .

أيها الحبيب ! لا تجزع من الآلام . بل تحملها بصبر وصمت ورباطة جأش وتأكد بأن هذه هى طريقة الله : أن يدخل الحديد فى تكوينك الروحى .

لما كان يوسف فى صبوته كانت أخلاقه رخوة بسبب تدليل أبيه له . فقد كان معجباً بقميصه الملون ، وكان يحلو له أن يتغنى باحلامه . لم تكن فى هذه الصفات خطية ولكنه كان ينقصه القوة والعزيمة والثبات . وما أعظم التغيير الذى صنعه به السجن . فمنذ اللحظة التى دخل فيها السجن ودخلت نفسه فى الحديد دخل الحديد الى نفسه واكتسب الحكمة والشجاعة والثبات والرجولة الكاملة وهذه كلها قد افادته كثيراً فيما بعد حتى أنه عندما عين والياً على مصر أظهر منتهى الكفاءة والحزم ، وكفاه فخراً أن يقود مملكة

عظيمة فى تلك المجاعة الطاحنة دون أن نرى أى أثر لروح التمرد بين شعبها

وهذا عينه هو ما تفعله معك الآلام ايها القارىء العزيز . ان العالم يحتاج الى رجال ذوى عزيمة حديدية فى جميع الاعمال العالمية . والله يحتاج الى قديسين ذوى نفوس حديدية ، وطالما كانت لا توجد طريقة لادخال الحديد الى النفس إلا عن طريق الآلام فانه يسمح بان يجوز شعبه وسطها . « ولكن كل تأديب فى الحاضر لا يرى انه للفرح بل للحزن . واما اخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » عب ١٢ : ١١

هل انت الآن فى سجن بسبب اتباعك الحق ؟ هل اوشكت اخر سنى حياتك ان تنتهى وانت مهمل فى زوايا النسيان ؟ هل ترزح تحت ثقل المظالم والاضطهادات الكثيرة ؟ ان كان الامر كذلك فلا تيأس بل تشجع فان الفرصة لا زالت باقية والله انما يريد ان يخلق منك رجلا حديدياً . ان تاج الآلام الحديدى ينبغى ان يسبق تاج المجد الذهبي

هل هنالك شخص متقدم فى الايام يقرأ هذه الكلمات ؟ ان كان الامر كذلك فقد يخطر بباله ان يسأل هذا السؤال : لماذا يسمح الله بعض الاحيان ان يملأ حياة بعض اولاده بالآلام وقد لا يترك لهم فرصة لخدمته ؟ لا بد ان يكون هنالك عالم آخر فيه مجال

للخدمة المجيدة ، وما هذا العالم الحاضر الا فرصة للاستعداد لذلك العالم الآخر . واذا ما صرفت الحياة كلها فى الآلام ـ ولو وصلت سبعين عاماً ـ فليس ذلك بالكثير فى نظر الله بازاء تمتع النفس بخدمته طول الابدية . لقد كان السجن بمثابة المدرسة التى هيأت يوسف للخدمة فى قصر فرعون . ولو كان الحجاب قد كشف عن عينيه وهو فى السجن ليرى المستقبل وما ينتظره لما كان قد تعجب من قسوة الآلام التى عاناها . ونحن كذلك لو استطعنا أن نرى ما ينتظرنا فى قصر ملك الملوك لما كنا نستغرب البلوى المحرقة التى قد تحل بنا فى هذه الحياة من آن لآخر .

(٣) تعزيات الله ليوسف وسط هذه الآلام .

١ — « وكان (يوسف) هناك فى بيت السجن . ولكن الرب كان معه » ص ٣٩ : ٢٠ و ٢١ . لقد كان الرب معه فى بيت فوطيفار ، ولكنه عند ما انتقل الى السجن كان الرب معه أيضاً هناك . أنه لا شىء فى الوجود يفصلنا عن الله سوى الخطية . فطالما كنا نسير مع الله سار الله معنا . ان رجل الله يستطيع أن يعيش مستقلا أكثر من غيره من البشر وذلك بفضل رفقة الله له . وهو كالمدينة الذهبية لا يحتاج الى الشمس ولا الى القمر لان الرب الاله هو ضياؤه الأبدى رؤ ٢١ : ٢٣ . ان وجد فى قصر وجدته مغتبطاً لا بملذاته بل بوجود الله فيه ، وان وجد فى سجن وجدته

مغنياً مسبحاً لأن إله المحبة لا يمكن أن يفارقه . فالنفس التى قد اتصلت بالهها تعتبر كل الأمكنة وكل الاختبارات على السواء « فقلت انما الظلمة تغشانى . فالليل (ليل الاحزان والآلام) يضىء حولى . الظلمة أيضاً لا تظلم لديك . والليل مثل النهار يضىء كالظلمة هكذا النور » مز ١٣٩ : ١١ و١٢

٢ — وفضلا عن ذلك فان الرب « بسط اليه (كشف أو اظهر) لطفاً » ٢١:٣٩ . ويالها من رؤية عجيبة أظهرها له الرب. انه لم يقف على الجبل كما وقف موسى عندما أظهر له الرب مجده وعظمته، ومع ذلك فقد أظهر له الرب منظراً مجيداً — أظهر اليه لطفه . لقد كان السجن له بمثابة جبل التجلى ، ومن أعماقه رأى ما لم يستطع أن يراه من قبل — رأى أعماق محبة الله ولطفه . ولهذا فقد كان السجن جديراً بأن يذهب اليه لكى يتعلم هذا الدرس الثمين . إذا اديرت آلة السينما فى غرفة منيرة تنطبع الصور على الشاشة البيضاء ولكنها لا تظهر بسبب الضوء ، أما إذا ساد الغرفة الظلام ظهرت الصور بأجلى وضوح . وهكذا كثيراً ما يسمح الله بأن يسود الظلام حياتنا لكى يرينا رحمته .

ايها الاخ الحبيب . ان جازت نفسك فى سجون الضيقات فكن ساهراً بل ازدد سهراً ويقظة ، ففى السجون قد اتيح لبعض أولاد الله ان يروا شيئاً من امجاده . فى السجن التقى بولس بالرب ،

على أبواب السجن رأى يوحنا باب السماء مفتوحا ، وفى السجن بسط الرب الى يوسف لطفاً . والله قد لا يجد فرصة ليرينا رحمته الا عندما تشتد الضيقات . أليس الليل هو الوقت الذى نرى فيه نجوم السماء ساطعة ؟

٣ — ان الله يستطيع ان يخلق لاولاده اصدقاء فى احقر الاماكن ومن اقذر البشر : « ولكن الرب . . . جعل نعمة له فى عينى رئيس بيت السجن » ع ٢١ . كان ذلك الشخص — على الارجح — فظاً غليظ القلب بلا رحمة قاسياً كسيده فوطيفار ، وكان على الارجح يميل الى زيادة التنكيل بذلك العبد العبرانى ارضاء لسيده . على انه كانت هنالك قوة أخرى تعمل فى الخفاء لا يدرى عنها شيئاً وكانت تلك القوة تُميل قلبه لذلك الشاب وتملأه ثقة به . ان كل القلوب مفتوحة لذلك الملك الاعظم وفى يده مفاتيح جميع قلوب البشر ، لهذا فانه يستطيع ان يفتح اقسى القلوب . « اذا ارضت الرب طرق انسان جعل اعداءه أيضاً يسالمونه » ام ١٦ : ٧ ومن اليسير جداً على الله ان يحول قلب اى انسان كما يحول الفلاح مجرى الجدول الصغير ليحمل الخصب الى الارض الجرداء .

٤ — ان فى خدمة الآخرين راحة لنا من اتعابنا . وهذا ما اختبره يوسف . لا شك بانه عندما وجد نفسه موضع ثقة رئيس بيت السجن حتى كلف بالاهتمام بشئون « جميع الاسرى الذين فى

بيت السجن » كان ذلك عاملا قوياً فى ان يقطع عليه سلسلة احزانه المتواصلة. لقد فُتح امامه باب جديد للعمل وهذا كان داعياً لتخفيف عبء المتاعب التى كان يرزح تحتها ، فقد كان يقضى وقتاً طويلا فى الاستماع لاخبار بعض زملائه الذين كانوا أوفر منه نصيباً فى المظالم التى تحملوها ، وفى ذلك كان يجد بعض الراحة والترفيه عن نفسه المثقلة بالحزن والالم .

انه لما يسترعى التفاتنا ان نرى اهتمامه العظيم بحالة كل واحد من زملائه الذين اوكل اليه امرهم وكيف كان يتفرس فى وجوههم ويسهر على راحتهم وينصت لاحاديثهم واحلامهم . لهـــذا فاننا نستطيع أن نعتبر يوسف أعظم مصلح ظهر للآن من مصلحى السجون ، وهو لم يقم بهذا المركز الرفيع غيرة منه فى اصلاح حال هؤلاء القوم التعساء فقط بل لانه كان يرى أيضاً فى هذه الخدمة تخفيفاً لاحزانه .

إنه لا يوجد دواء للقلب الحزين كخدمة الآخرين . فان كانت حياتك قد أثقلتها الأحزان والهموم فلا تجلس لكى تتأمل فى حالتك التعسة بل قم على الفور وابحث عن أولئك الذين هم أوفر نصيباً منك فى الأحزان والمظالم واحمل اليهم بلسماً لجروحهم الدامية ومحبة وعطفاً لقلوبهم الكسيرة . وإن لم يكن فى مقدورك أن تقدم لهم مساعدة عملية تذكر ، فان أقل ما تستطيع عمله أن

تقتدى بيوسف وتجلس بجانبهم وتنصت لأخبارهم وأحلامهم ، فان فى الاستماع خيراً جزيلا . لأن القلب المثقل يميل إلى أن ينسكب أمام الآذان التى تعطف وترثى ، ولأن فى الافضاء بأسرارنا وأحزاننا للآخرين ترويحاً كبيراً للنفس عن آلامها .

إن كنت لا تستطيع أن تفعل شيئاً لتخفيف آلام الآخرين ورفع المظالم عنهم فتعلم كيف تستمع اليهم ، وعزهم بالتعزية التى قد عزاك بها الله ٢ كو ١ : ٤

وأنت إذ تستمع اليهم وتعزيهم وتكفكف دموعهم ستدرك أن نيرك هين وستخبر أن غصناً من الشجرة الحقيقية — شجرة الصليب — قد سقط فى مياه حياتك المرة فحوّل المر حلواً وبدل الحزن فرحاً . وأنت إذ تستمع اليهم لا بد أن تجد ما وجده يوسف — لا بد أن تجد ذلك المفتاح الذى به تفتح الأبواب الثقيلة التى كنت محبوساً داخلها .

والآن نهمس بهذه الكلمات الختامية للنفوس التى قد تثقلت بالحزن بلا ذنب ولا جريرة

١ — أيها الأخوة الأعزاء لا تتعجبوا . فأنتم تتبعون سيدكم الذى ظل بنو جنسه يجهلون أمره ويسيئون اليه من سن الثانية عشرة حتى صعوده إلى السماء ، الذى لم يفعل خطية ولكنه حسب كخاطىء ، الذى قال عنه عدوه «انى لست أجد فيه علة» ومع ذلك

فقد لقب « ببعلزبول » . فان كانوا قد قالوا هذا عن رب البيت فكم يقولون عن أهل البيت . « لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة لأجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب » ١بط ٤ : ١٢ وكل ما عليكم هو أن تتأكدوا بأنكم تتألمون ظلماً وعدواناً وبأنكم تتألمون كمسيحيين

٢ — لا تفشلوا فى عمل الخير . كان ممكناً ليوسف أن يقول ما الفائدة من تقواى ولماذا لا أعيش كما يعيش الآخرون . ولكنه ظل ثابتاً فى الحق ومستمراً فى عمل الخير . أثبتوا فى الحق لأنه حق ان تثبتوا فى الحق ولان الله متطلع اليكم ، ولان ذلك يملأ قلوبكم فرحاً وسروراً . وإذا ما أسىء اليكم بعد ذلك فأنكم عندئذ لا تفشلون ولا تيأسون

٣ — وفوق كل ذلك لا تنتقموا لانفسكم . عندما تأمل يوسف فى متاعبه لم ينقم على اخوته ولا على فوطيفار ولا على زوجته وانما قال بكل بساطة « انى قد سُرقت من أرض العبرانيين . وهنا ايضاً لم افعل شيئاً حتى وضعونى فى السجن » ص ٤٠ : ١٥ ولا شك انه جال فى خاطره معنى كلمات الرسول : « لا تنتقموا لانفسكم ... بل اعطوا مكاناً للغضب » رو ١٢ : ١٩ ، « ان كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله » ١ بط ٢ : ٢٠ اننا نخطىء كل الخطأ ان كنا نحاول دواماً ان نبرىء أنفسنا

فالاحرى بنا ان نستمر فى عملنا ونترك لله ان يجلى قضيتنا ويظهر حقنا . « يخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة » مز ٣٧ : ٦ عندما كان المرنم يتحدث عن يوسف وعن تبرئة الله اياه قال « قول الرب امتحنه » او (برأه) حسب بعض الترجمات مز ١٠٥ : ١٩. ويالها من تبرئة مجيدة تلك التى صنعها الله مع عبده الامين هذا

لا شك فى اننا جميعاً معرضون للتهم الباطلة وتعديات الآخرين ومظالمهم واساءتهم الينا . وفى هذه الظروف يميل المرء بطبيعة الحال ان يتصرف كأهل العالم اذ تتجه الافكار لاول وهلة الى الالتجاء للمحاكم والسلطات العالمية. اما المؤمن فانه يرفع قضيته الى محكمة أعلى ويبسطها امام إلهه . لانه يفضل الاتكال على عناية الله القادرة ان تظهر حقه عن ان يستخدم مجهوده الشخصى فى الوسائط العالمية . وهو لا يرى بأساً من الانتظار ولو بعض الشهور والسنوات حتى ينصفه الله . وهو لا يبالى كثيراً اذا ما عوجت المحاكم البشرية فى حقه ولكن كل ما يهتم به هو دينونة الله وهو ينتظر تلك اللحظة التى فيها « يضىء الابرار فى ملكوت ابيهم كالشمس » عندما تضىء مبددة كل ظلام مت ١٣ : ٤٣ « متى اظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون انتم ايضاً معه فى المجد » كو ٣ : ٤ فى ذلك اليوم تتضح الاسرار وتجلو الحقائق ويزول كل سوء فهم. ايها المظلومون

المضطهدون ! أليس الأجدر بكم ان تنتظروا قضاء الابدية العادل ، قضاء الله الذى لا شك فى انه سيخرج مثل النور برّكم وحقكم مثل الظهيرة .

كم هو مريح لنا جداً أن نعتقد أن يد الله الرفيعة تهيمن على كل شيء فى الوجود وان ارادته تتحكم فى كل شيء . فان كنا ننظر الى كل ما يحل بنا من مظالم ومصائب بأنها آتية الينا من يد الاشرار تثقلت حياتنا بالهموم والاحزان . أما ان كنا ننظر الى كل شيء بأنه خاضع لارادة الله ونثق بان ما يحل بنا من مظالم لا بد أن يكون بسماح منه فاننا نجد فى ذلك راحة عظمى وتعزية ليست بقليلة فهو القادر أن يحول كل شيء لخير أولاده مهما دبرت الشرور واحكمت المؤامرات ضدهم

ألم يكن يهوذا هو الذى دبر موت المخلص وهو الذى تآمر مع اليهود على اتمام كل شيء حتى نجح فى مسعاه ، ومع ذلك فان الرب يسوع عند ما يتحدث عن تلك الكأس يقول عنها بان الآب هو الذى أعطاها اياه . ومع أن رؤساء الكهنة والفريسيين هم الذين حكموا عليه بالموت الا اننا نراه يقول بانه يضع حياته كأن أمر موته فى سلطانه تماماً . وحقاً أن كل الذين يحبون الله لن يصيبهم الشر . واذا ما حلت المصائب بالمؤمن تجده منحصراً فى

التأمل فى أعمال العناية الآلهية لعله تنكشف له أسرار ومكنونات ارادة الآب السماوى .

لهذا ينبغى أن لا نجزع أو نتعجب اذا ما جزنا بعض الظروف المظلمة . لأنه ينبغى أن تتحطم سفينة آمالنا لكى تتعلق بالهنا ولكى تزداد اختباراتنا فى الاتكال على العناية الالهية ولكى نستطيع أن نتهلل مع المرنم قائلين (عصاك وعكازك هما يعزيانني)

« ارسل أمامهم رجلا
بيع يوسف عبداً
آذوا بالقيد رجليه
فى الحديد دخلت نفسه
إلى وقت مجىء كلمته
قول الرب امتحنه
ارسل الملك فحله
أرسل سلطان الشعب فاطلقه
أقامه سيداً على بيته
ومسلطاً على كل ملكه
ليأسر رؤساءه حسب إرادته
ويعلم مشايخه حكمة »

مز ١٠٥ : ١٧ — ٢٢

الفصل السادس

من السجن الى العرش

(تك ٤١)

ان الخطوات التى سار يوسف فى إثرها من السجن الى العرش لا شك مغروفة لكل قارىء ، ولهذا فهى لا تحتاج الى شرح دقائقها وتفاصيلها . وإنما سنقصر تأملاتنا فى هذا الفصل على بعض النقط الجوهرية

(١) الرجاء المماطل . « اذا ذكرتنى عندك حينما يصير لك خير تصنع الىّ احساناً » تك ٤٠ : ١٤ وكان هذا طلباً متواضعاً طلبه يوسف من رئيس السقاة الذى فسر له حلمه. على ان البعض يظنون ان يوسف قد اخطأ فى تقديم هذا الطلب لانه لا يليق به ان يلجأ الى فرعون طالما كانت صلته بملك الملوك وثيقة ، وفى استطاعته ان يقدم اليه شكواه ويبسط امامه امره فى اى وقت اراد . ولاخواننا المسلمين حديث خاص فى هذا الشأن فهم يقولون ان الله قد حول

يوسف يفسر الاحلام في السجن

سجن يوسف إلى جنة فيحاء تتوسطها نافورة وعلى بابها شجرة وارفة الظلال مثمرة ثمراً شهياً ، وانه عندما قدم هذا الطلب لرئيس السقاة تحطمت النافورة وذبلت الشجرة ، وذلك لأنه اتكل على معونة إنسان ضعيف بدلا من الاتكال على الاله القدير

على أنه إن حق لنا أن نعيب على يوسف ضعفه فى هذا الموقف إلا أنه لايليق أن نشدد النكير على ذلك الشاب فى أشد أوقات محنته . فان أقوى رجال الايمان قد خارت عزائمهم فى بعض الظروف . فهوذا إيليا قد ارتمى فى الصحراء وطلب الموت لنفسه . و يوحنا المعمدان نراه وقد خامرته الشكوك فى ظلمات السجن يرسل اثنين من تلاميذه الى المسيح ليتأكد أن كان هو المسيا المنتظر . وغيرهما من الأبطال قد خارت نفوسهم فى بعض الظروف المحزنة . فان كان يوسف قد التجأ الى المعونة البشرية فى هذا الظرف القاسى فمن منا يستطيع أن يدينه ؟ من منا لايرفق به ويرثى لحاله ؟ من منا كان فى استطاعته أن يسلك طريقاً آخر ؟ كم من المرات نصرح بان نفوسنا قد انتظرت الرب لا سواه وفى نفس الوقت فالتجىء للبشر لطلب المعونة ؟

يذكرنا هذا الطلب الذى قدمه يوسف « إذا ذكرتنى » أو « اذكرنى » بتلك الصلاة التى رفعها اللص اليمين للمسيح عندما كانت نفسه منحدرة الى الهاوية . ولكن ما أعظم الفرق بين استجابة كل

من الطلبتين. فان طلبة اللص قد استجيبت فى الحال وتمتع بالدخول مع المسيح إلى الفردوس فى نفس اليوم . أما يوسف فقد كان الحال معه على النقيض

لا شك أن رئيس السقاة عندما سمع هذا الطلب قد أجاب بالقبول فى وقته، ولا شك أنه عزم من كل قلبه على أن يعطيه مركزاً فى دائرة عمله إذا تحققت أحلامه وعاد إلى وظيفته الاولى . ويخيل الينا انه عندما ترك السجن ودّع يوسف قائلا : استودعك الله ، إلى اللقاء ، فى القريب العاجل حيث أرجو أن أستدعيك للانتفاع بمواهبك ولكى أرد اليك بعض الدّين الذى أنا مدين لك به .

« ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه » تك ٤٠ : ٢٣

ويالله من وقع سيء لهذه الكلمة « نسيه » ولا شك أن الكثيرين من القراء يدركون مرارة هذا النسيان . مرت الأيام ، يوماً بعد يوم ، ويوسف يترقب تحقيق وعد ذلك الصديق . ومرت الأسابيع وهو ينتظر رسالة الخلاص من ظلمات السجن ، وكم من مرة ركض نحو باب السجن على أثر بعض الطرقات الفجائية ظناً منه بأن ساعة الخلاص قد حانت . وإذ أبطأ تحقيق الوعد كان يتلمس المعاذير الواهية للأبطاء . فكان يصبر نفسه بان رئيس السقاة لا شك قد ازدحم وقته بتهنئات المهنئين وبالكثير من الأعمال التى كانت معلقة تنتظر عودته . أو ربما كان يتوقع فرصة مناسبة

لكى يرفع قضيته للأعتاب الملكية . وهكذا ظل وقتاً طويلا فى هواجسه يعلل نفسه بالآمال الكاذبة . ولكنه أخيراً لم ير بداً من أن يرضخ للحقيقة الواقعة التى كانت تضغط على عقله وقلبه رويداً رويداً وهى أنه قد « نسى »

ولا شك أن الرجاء المماطل قد أمرض قلبه ام١٣ : ١٢ ولكنه قد بقى ثابتاً لا يتزعزع، فان كان رجاؤه فى البشر قد خاب فذلك أدعى لازدياد ثقته فى الله ، ولهذا فلا شك أنه قد قال بعد ذلك « انما لله انتظرى يا نفسى لأن من قبله رجائى » مز ٦٢ : ٥

أما ثقته فى الله فلم تذهب باطلا لأن الله بعنايته التى لا يدرك مداها أخرجه من السجن وصنع له خيراً جزيلا لم يكن ممكناً أن يصنعه له رئيس السقاة

ربما يقرأ هذه الكلمات البعض من أولاد الله ممن هم واقعون فى ارتباك أو ضيق كما كان يوسف فى السجن ، وربما يكونون قد حاولوا مراراً أن يدبروا لانفسهم طريقاً للخلاص ولكنهم وجدوا أن كل مساعيهم قد ذهبت ادراج الرياح وأن الاشخاص الذين كانوا يؤملون فيهم المعونة قد خيبوا كل آمالهم . ويا لها من مرارة كالعلقم ، مرارة الفشل والخذلان .

(٢) ولمثل هؤلاء نقدم ثلاث نصائح موجزة :

١ — « كفوا عن الانسان الذى فى أنفه نسمة » (أى نسمة الحياة فى أنفه) اش ٢ : ٢٢ صحيح أننا لا نستطيع أن نعيش بدون عطف الاصدقاء ورعايتهم ، واننا نحتاج الى معونة البشر والاستماع لصوتهم ، واننا نتلهف الى معونتهم كما يتلهف الغريق ليمسك فى قشة ، ولكن يجب أن لا يغرب عن البال أن البشر طالما خيبوا آمالنا . وكم برهنت الايام على أن أحسن الاصدقاء لم يستطيعوا أو لم يرغبوا فى مساعدتنا بالكيفية التى كنا نتوقعها . « ملعون الرجل الذى يتكل على الانسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه . ويكون مثل العرعر فى البادية ولا يرى اذا جاء الخير بل يسكن الحرّة فى البرية أرضاً سبخة وغير مسكونة » ار ١٧ : ٥ و ٦

٢ — تحولوا من الانسان المخادع الكاذب الى الله الامين صخر الدهور . « فهو يبقى أميناً » ٢ تى ٢ : ١٣ وهو اذا وعد لا يمكن الا أن يفى بوعده ، وهو بنفسه يقول « اذكر هذه يا يعقوب .... لا تُنسى منى » اش ٤٤ : ٢١ قد تنسى الام رضيعها وقد لا ترحم ابن بطنها أما الرب فلا ينساكم اش٤٩ : ١٥

قد يتركم الله زمناً طويلا بلا معونة ، وقد يتركم معذبين فى العاصفة حتى الهزيع الرابع ، وقد يتجلد يومين ويبقى فى المدينة

التى هو فيها ولا يبالى بلعازر حبيبه الذى مات ، وقد يهمل صلواتكم على كثرتهـا دون أن يستجيبها ، ولـكنه لا بد أن يقول أخيراً « يا امرأة — يا رجل — عظيم إيمانك ليكن لك كما تريدين » مت ١٥ : ٢٨

٣ — انتظروا الرب . نحن كثيراً ما نتسرع ونقلق ونجزع ، وهذه خطية عظمى . فان الذين يستطيعون الانتظار هم وحدهم الذين يفوزون بتحقيق كل آمالهم . « والذين ينتظرون الرب هم يرثون الارض » مز ٣٧ : ٩ ربما تكون قـد حلمت حلماً فى حداثتك — كما حلم يوسف — بأن تكون نافعاً وسبب بركة للآخرين . ولـكنك ترى الآن أن كل الأبواب تكاد تـكون مغلقة فى وجهك وانك لم تستطع أن تقـدم خدمة فى حياتك . والآن ارفع قلبك لله ، واخضع لارادته واخبره بأنك تترك له تحقيق كل أحلامك . « انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الارض . الى افتراض الاشرار تنظر » مز ٣٧ : ٣٤ قد يسمح الله بان يتركك زمناً آخر فى انتظارك ولـكنك لا بد ان تدرك أخيراً أنه يحقق كلامه الذى قاله أحد أولاد الله عن اختبار فى ثقته به « أما خلاص الصديقين فمن قبـل الرب حصنهم فى زمان الضيق . ويعينهم الرب وينجيهم . ينقذهم من الاشرار ويخلصهم لانهم احتموا به » مز ٣٧ : ٣٩ و ٤٠

(٣) حلقات سلسلة العناية الالهية .

اما اولا فان امرأة فوطيفار توجه الى يوسف تهمة لا اساس لها تؤدى الى سجنه ، ثم نرى ذلك الشاب السجين يستدر عطف حافظ السجن فيمنحه سلطة الاتصال بالمسجونين ، بعد ذلك يحدث فى نفس الوقت ان يزج فى اعماق السجن رجلان من رجال البلاط الفرعونى بتهمة محاولة دس السم الى فرعون ، ثم يفسر يوسف احلام هذين الرجلين ويتم التفسير حرفياً فيكون ذلك داعياً لاظهاره متشحاً بقوة خارقة للعادة ، ثم ينسى رئيس السقاة موضوعه كلية لئلا يحاول ان يصنع له تدبيراً لا يتفق مع ترتيب العناية الالهية ، واخيراً يحلم فرعون حلماً بعد مرور سنتين كاملتين .

قد يمر القارىء او السامع مر الكرام على سلسلة الحوادث هذه ويظن ان للصدفة دخلاً كثيراً فيها ، اما المؤرخ المدقق ، المسترشد بروح الله القدوس ، فانه يكشف القناع ويبين — بعد تأكد وثقة — ان يد الله كانت تعمل فى كل ذلك خطوة فخطوة لاتمام مقاصده الازلية الصالحة .

لقد تكرر الحلم مرتين لكى يؤكد لابسط العقول ان حادثاً هاماً منتظر وقوعه . وما ان استيقظ فرعون حتى امتلأت نفسه رعباً وخوفاً فاستدعى جميع الكهنة الذين كانوا يلازمونه دواماً كما استدعى جميع حكمائه وقص عليهم حلمه ولكن لم يكن من

يُعبره . وهكذا « جهل الله حكمة هذا العالم » ١ كو ١ : ٢٠

وفى وسط الارتباك الشديد الذى ساد جميع رجال البلاط الفرعونى نرى رئيس السقاة ـ وقد تذكر اختبارات السجن ـ يتقدم فجأة الى فرعون ويخبره بأمر ذلك السجين العبرانى . فيأمر فرعون باستدعاء يوسف فوراً « فاسرعوا به من السجن » . ورغم أوامر فرعون المشددة باستدعائه على جناح السرعة اضطروا قبل تقديمه اليه للانتظار قليلا ريثما يحلق شعره ويبدل ثيابه .

لقد كان امراً جوهرياً لدى المصريين ان يراعوا النظافة التامة وحسن الهندام لدرجة انهم لم يروا بأساً ان تتعطل قليلا اكثر المأموريات عجلة وأهمية فى سبيل مراعاة ذلك الامر الجوهرى . على اننا مع الاسف الشديد بينما نرى هذا الاهتمام البالغ فى مقابلة البشر بعضهم للبعض نراهم لا يبالون ـ كثيراً او قليلا ـ بمظهرهم امام الله . وبينما نرى الرجل لا يتجاسر بالدخول على عظيم بملابس قذرة او غير مرتبه نراه فى نفس الوقت لا يبالى ان كان يدخل بقلب ملوث بكل نجاسة وشر وفساد

وكم هو جميل ان نلاحظ احترام يوسف البالغ لله فى كل اشاراته فى مقابلته الأولى لفرعون « ليس لى ، الله يجيب بسلامة فرعون » تك ٤١ : ١٦ ، « قد أخبر الله فرعون بما هو صانع » ع ٢٥ ، « الأمر مقرر من قبل الله ، والله مسرع ليصنعه » ع ٣٢ عندما

يكون القلب ممتلئاً بالله يلهج اللسان بذكره فى كل حين ولا يجد الانسان فى ذلك مشقة أو تكلفاً اذ أنه يصبح من طبيعة اللسان أن ينطق بذكره فى كل مناسبة . فياليت حياتنا الداخلية تزداد امتلاء من محبة الله وقوته

لم يأنف يوسف من ذكر اسم الله وسط الجمع الحاشد من عابدى الأوثان الذين اكتظ بهم قصر فرعون ، فعلينا أن لا نجزع من الشهادة لالهنا مهما كان الوسط الذى نعيش فيه ومهما اشتدت المقاومات والاضطهادات

وإذ اتجهت كل أفكار قلبه نحو إلهه أصبح يسيراً عليه أن يفسر حلم فرعون

والآن وقد وضح أمامنا تفسير الحلم فاننا لا ندهش لان يوسف استطاع أن يفسره ولكننا ندهش لأن جميع حكماء فرعون لم يستطيعوا الوصول الى ذلك التفسير مع بساطته ووضوحه . ولكن قد يكون الله سمح بأن تطمس بصائرهم لكى تكون هنالك فرصة لابراز يوسف الى المركز الذى هيىء له منذ حداثته . وفى هذه المناسبة — كما فى غيرها من المناسبات الكثيرة — نستطيع أن نرى تفسيراً لكلمات الوحى الالهى « انك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء واعلنتها للاطفال . نعم أيها الآب لان هكذا صارت المسرة أمامك » (لو ١٠ : ٢١)

وفى وسط الأزدحام الشديد فى القصر الفرعونى فسر يوسف الحلم على مرأى وفى مسمع الحكماء والعرافين والسحرة الذين كان عسيرا عليهم أن يعترفوا بفضل ذلك العبد العبرانى عليهم . وقد كان التفسير معقولا جداً إذ كان منطبقاً على الأحوال العادية لمصر الزراعية ، ولهذا فانه لم يجد عناء فى اقناع سامعيه بصدق التفسير

ولعل ذلك التفسير لم يكسب يوسف نعمة واحتراماً لدى السامعين اكثر من الخطة الحكيمة والتدبير المحكم اللذين اشار بهما لامكان اجتياز المجاعة القادمة . ولا شك فى أنه عندما كان يسرد الخطط التى أوحى بها وهى تعيين رجل حكيم يتولى ذلك العمل الخطير ، وإنشاء إدارة جديدة لجمع مؤونة البلاد لتسد حاجة البلاد فى مجاعتها القادمة ، وتشييد مخازن متسعة فى المدن المختلفة لهذه الغاية — لاشك فى أنه كان يتحدث بروح اسمى من روح شخص كهذا ، كما أنه كان يتكلم بسلطان ملك كل مشاعر فرعون ومستشاريه حتى أنهم لم يستطيعوا إلا التسليم بكل ما أشار . « فحسن الكلام فى عينى فرعون وفى عيون جميع عبيده فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله » ع ٣٧و٣٨ فياليتنا نحمل معنا روح الله حتى فى أشغالنا العالمية . أنه لأمر يستحق التعب أن نسعى فى طلب روح الله حتى ولو كنا فى أعماق السجون. على أن الله مستعد

أن يهب روحه حتى بدون تعب أو قليل عناء . « اسألوا تعطوا ، أطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم »

وهنا نستطيع أن نجد تفسيراً واضحاً لقول الوحى « إنى أكرم الذين يكرموننى » ١ صم ٢ : ٣٠ فان يوسف عندما فسر الحلم وقدم نصيحته ولم يكن يفكر قط فى أمر نفسه أو فى تهيئة مستقبل لشخصه ، قال فرعون لعبيده « هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله » ثم التفت الى يوسف وقال له « بعد ما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك . انت تكون على بيتى وعلى فمك يقبل جميع شعبى . الا أن الكرسى أكون فيه أعظم منك . انظر ! قد جعلتك على كل أرض مصر » ع ٣٩ ـ ٤١

حقاً لقد كانت رفعة يوسف أمراً عجيباً ، فقد انتقل فى طرفة عين من السجن الى العرش . لقد سبق أن رأينا أباه يتنهره فى أيامه الاولى أما الآن فاننا نرى فرعون — وهو أرفع الملوك فى زمانه — يكرمه . لقد رأينا اخوته يحتقرونه ، أما الآن فاننا نرى اعظم كهنة العالم يرحبون به ويتشرفون بأن يضموه الى صفوفهم اذ يزوجونه واحدة من بناتهم لكى يكسبوا عطف ذاك الذى ستؤول اليه أقوى سلطة فى البلاد . وتلكما اليدان اللتان كانتا تشقيان فى الخدمة كعبد فى بيت فوطيفار ثم كسجين قد تحلتا الآن بالخاتم الملكى . وبعد أن كانت الارجل تحز فيها القيود الحديدية اصبحت

السلاسل الذهبية تحلى جيده . أما ذلك القميص الملون الذى انتزع عنه بقسوة ثم لطخ بالدماء ، وذلك الثوب الذى تركه فى أيدى الزانية وهرب ، فقد استبدلا بأفخر الثياب الملكية . لقد مرت عليه أيام كان ينظر اليه فيها « كرسخ كل شيء » أما الآن فقد أصبحت كل أرض تخضع أمامه . ألا يفسر لنا ذلك باجلى وضوح ترنيمة حنة أم صموئيل التى انشدت بهـا على مثال أنشودة القديسة العذراء مريم :

« الرب يميت ويحيي
يهبط الى الهاوية ويصعد
الرب يفقر ويغنى
يضع ويرفع
يقيم المسكين من التراب
يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء
ويملكهم كرسى المجد »

١صم ٢ : ٦ — ٨

كل هذا تم ليوسف لانه يوماً ما قاوم التجربة ولم يشأ ان يطيعها

حقاً انه لو كان قد خضع امام التجربة ربمـا لم نكن قد سمعنا عنه بعد ، ربما كان قد فتك به ذلك العدو الجبار الذى كل قتلاه اقوياء وانحدر

الى ظلمات القبر ، وما كان قد تزوج تلك الزيجة وما كانت له زوجة أو اولاد ، وما كان قد تكلل بالمجد والكرامة وما كانت هنالك فرصة لكى تكون حياته نافعة ومخصبة أو لكى يرى وجه ابيه العزيز واخوته. حقاً لقد كان خيراً له ان لا يستسلم للتجربة .

فعلينا ان نصمد امام التجارب مهما اشتدت ، علينا ان نطلب اولا ملكوت الله وبره ، علينا ان نحرم انفسنا من اللذات الوقتية لكى نحصد فى وقته ، علينا ان نكرم الله باطاعة حتى اصغر وصاياه ، علينا بالشجاعة لنجسر ان نقول « لا » امام اية تجربة ، والله لن يتغافل عن عبيده ، بل انه يعود ويرحمك ثم « يرفعك لترث الارض » مز ٣٧ : ٣٤

وعندما يأتى ذلك اليوم لننسب كل شىء الى الله. تأمل فى الاسماء التى دعا بها يوسف أولاده تجدها تعبر عن قرارة قلبه عندما كان فى أوج عزه (مَنَسى) معناه (مَنسِيٌ) لأن الله أنساه كل تعبه ؛ (افرايم) معناه (مثمر) لأن الله قد جعله مثمراً . فيا أخى كن ثابتاً فى الحق وثق بان الله لا بد ينسيك كل آلامك وأحزانك وطول انتظارك ثم يجعلك مثمراً . ثم كن مطمئناً وأخيراً أعط لله الشكر والثناء

(٤) أوجه الشبه بين يوسف ويسوع . لا شك فى أن أوجه الشبه كثيرة. فأن الحوادث التالية تسطع بنورها على الحقائق السابقة .

لقد رفض يوسف من اخوته ، ويسوع رفض من اليهود — أخوته حسب الجسد

لقد بيع يوسف بعشرين من الفضة الى الاسماعيليين؛ ويسوع بيع بثلاثين من الفضة بسبب خيانة يهوذا ثم سُلم الى الامم

لقد طرح يوسف فى السجن ؛ وطرح يسوع فى القبر

فى السجن استطاع يوسف أن يكرز ببشارة الخلاص الى رئيس السقاة ؛ ويسوع نزل الى الجحيم وكرز بالانجيل للأرواح المنتظرة هناك

أما اللصان اللذان علقا على الصليب فيشبهان رئيس السقاة ورئيس الخبازين اللذين رافقا يوسف فى السجن

مع أن يوسف كان يهودياً بالمولد ورفض من اخوته الا انه قد رفع الى اسمى المناصب فى مملكة وثنية وخلص ربوات منها من الموت ، كذلك يسوع مع انه كان يهودياً بالمولد ورفض من اليهود الا انه قد رفع الى عرش القوة وهو الآن يملك على قلوب ربوات من الامم الوثنية الذين قد خلصهم من الموت ووهبهم طعاماً روحياً لاشباع جوعهم .

وحتى نفس الاسم الذى أطلقه فرعون على يوسف « صفنات فعنيح » ع ٤٥ معناه « مخلص العالم » وهو لقب مخلصنا الصالح .

نعم ويجب أن تتمشى أوجه المشابهة الى مدى أبعد . فكما أن

اخوة يوسف جاءوا اليه ملتمسين الصفح والمعونة بعد أن مكث زمناً طويلا يحكم مصر ويباركها ، هكذا ستأتى الايام قريباً التى نرى فيها اليهود يهرعون الى المسيح اخيهم حتى يخلص كل اسرائيل .

أيها القارىء العزيز ! تأمل الآن فى يسوع الذى فى يده اعطى كل سلطان فى السماء وعلى الارض ، الذى باسمه تجثو كل ركبة . ان كنت للآن لم تجثُ أمامه ولم تخضع لسلطانه فاعلم بأنه عسير عليك أن تقاوم سلطانه . اسمع الآب من السماء يقول « أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى » مز ٢ : ٦ واسمع الرسول يصرح « لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة . . . ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب » فى ٢ : ١٠ و ١١ لاجل هذا عليك أن تتصالح معه سريعاً « قبلوا الابن لئلا يغضب » مز ٢ : ١٢

(٥) حاجة العالم الى المسيح :

لقد رأينا كيف ان البقرات السبع النحيفة قد التهمت السبع البقرات السمينة وكيف ان السبع السنابل الرقيقة بتلعت السبع السنابل الممتلئة .

ان هذا المنظر يتكرر كل يوم فى كل مكان . فنى كل يوم نرى الاشياء الضعيفة تتلف القوية ، نرى المخلوقات النحيلة تلتهم السمينة ، نرى المخلوقات العقيمة تبتلع المثمرة ورغماً من كل ذلك

فلا نرى تقدماً محسوساً . ولا يستطيع ان يدرك المقصود من هذه الكلمات إلا اولئك الذين يعرفون قيمة ما ينفق سنوياً فى الخمور وفى المعدات الحربية ، فى المظاهر العالمية الكاذبة وفى الملذات الجسدية . أليس محزناً للغاية ان نرى الملايين تنفق جزافاً فى كل هذه الامور الضارة بينما الطبقة الفقيرة لا تزداد إلا بؤساً وشقاء

واين العلاج ان كانت الحكومات بكل أبطالها وعظمائها وحكمائها لم تستطع أن تخفف آلام البشرية وتزيل عنها ما ترزح تحته من شقاء وانين ؟ ان كان الرب قد سمح بان تجوز مصر فى الضيق فلكى تدرك حاجتها الى يسوع الذى قد يكون مخفياً عن أعينها كما كان يوسف مخفياً عن أعين المصريين قديماً . حينئذ يلتجىء البشر الى كتابهم المقدس لطلب الارشاد وتمتلىء بيوت العبادة بالعابدين ، وحينئذ يملك ذلك الذى كان مرفوضاً من قبل ، وحينئذ تفرح الارض لانه يملك بالعدل .

اخى العزيز ! قد تكون أنت الآن فى ضنك شديد منذ سبع أو بضع سنوات ، وقد تكون الضائقة التهمت كل ما قد ادخرته فى أيامك الاولى . ألم تفكر قط فى السبب ؟ قد يكون السبب انك حولت المخلص من قلبك الى زاوية النسيان . وما دام الحال كذلك فلن يرجى لك تقدم أو نجاح أو سلام . لذلك فاسرع فى طلبه والتمس منه أن يغفر لك كل السنوات الطويلة التى تغافلت عنه فيها ، اعده الى عرش قلبك فيعيد اليك ما قد خسرته .

الفصل السابع

حديث يوسف الاول مع اخوته

(تكوين ٤٢)

لا شك فى أنه عندما اعتلى يوسف عرش مصر كان مظهره الخارجى ينم عن منتهى الغبطة والسعادة ؛ فقد أعدت له القصور الشاهقة بما احتوته من فراش وثير وخدم وحشم ؛ وهيئت له كل أسباب الراحة والرفاهية

على أنه رغماً عن تمتعه بكل مظاهر العظمة والسؤدد فلا شك فى أنه كانت هنالك بعض العوامل التى تسبب له القلق الدائم . فقد كان يحيط به فى القصر الفرعونى الكثيرون ممن يحسدونه على تلك السلطة التى انتقلت اليه فجأة ، كما كان يحيط به من كل ناحية شعب يكاد يفقد صوابه بسبب اشتداد المجاعة . وفى السبع سنوات الأولى كان يتجول فى أرض مصر ليتفقد عملية بناء المخازن وشراء خمس المحصول حيث قد « أثمرت الارض فى سبع سنى الشبع

بحزم . فجمع كل طعام السبع سنين ... وخزن قمحاً كرمل البحر كثيراً جداً حتى ترك العدد اذ لم يكن له عدد » تك ٤١ : ٤٧ ـ ٤٩ ولا بد أن يكون كل هذا قد سبب له كثيراً من القلق اذ لم يكن يسيراً على شاب كهذا غريب الجنس ان يتمم خططه الواسعة وأن يحمل شعباً ليس سلس القيادة على تنفيذ تلك الخطط

وبالرغم من كل ذلك فقد كان يوسف فى منتهى الكفاءة للقيام بهذه الخدمة لأنه كانت هنالك فيه قوة أخرى خارجة عن إرادته وعن استعداده ومواهبه وكفاءته الذاتية . فقد كان كما قال عنه فرعون بحق « رجلا فيه روح الله » تك ٤١ : ٣٨ فمتى يأتى الوقت الذى فيه يتعلم البشر أنهم يجب أن يكون فيهم روح الله فى البيع والشراء وفى جميع الأعمال العالمية ، والذى فيه يدركون أن أنجحهم حتى فى الأعمال العالمية هم الذين قد امتلأوا حقاً من روح الله القدوس

فليت الله يملأنا جميعاً من روح ذلك الشاب الذى حتى عندما وصل إلى أوج عزه كان يضع الله دائماً نصب عينيه . هذه الروح لاشك تجعلنا بركة للوسط الذى نعيش فيه ، فان يوسف قد استطاع أخيراً عندما أتت أيام المجاعة أن يكون أباً لفرعون وأن يخلص الأرض

كل هذه الأمور قد تطلبت زمناً طويلا . فقد كان يوسف فى

السابعة عشر عندما انتزع من أحضان أبيه . وكان فى الثلاثين عندما وقف أمام فرعون لأول مرة . يضاف إلى تلك المدة سبع سنوات الشبع وربما سنتان أخريان حتى ابتدأت المخازن يقل فيها القمح ، ومن ذلك يتضح أنه قد مضت مدة نحو الخمس والعشرين سنة منذ مأساة الجب حتى حل الوقت موضوع تأملنا الآن . لقد كانت حياة يعقوب فى تلك المدة الطويلة تسير على وتيرة واحدة فى صمت وسكون ، وكلما مضى الزمن كلما ازداد ضعفاً وانحلالا لا بسبب الأيام بل بسبب اشتداد وطأة الحزن عليه لفقد يوسف عزيزه ، لهذا فانه كان يُسكب سكيباً . وكيف كان ممكناً أن ينسى منظر القميص الملوث بالدماء !!

وفى نفس الوقت كان اخوته قد تقدموا فى الأيام وأصبحت لهم عائلات كثيرة . والأرجح أنهم لم يتحدثوا مع بعضهم عن تلك المأساة التى مثلوها بأخيهم أمام الجب . فقد كانوا يبذلون أقصى ما فى وسعهم ليطردوا من مخيلتهم كل ذكريات تلك الجريمة . كانوا بعض الأحيان يرون فى أحلامهم شبح ذلك الشاب فى وجهه الكئيب أو يسمعون صدى توسلاته التى سبق أن رفعها اليهم فى مرارة نفسه ، ولكنهم كانوا يحاولون أن يغرقوا تلك الذكريات فى لجة النسيان ، ذلك لأن الضمير قد نام

على أنه قد أتى الوقت الذى قصد الله فيه أن يستخدم هؤلاء

الأشخاص فى تكوين أمة عظيمة . ولكى يعدهم لهذه الغاية كان لا بد أن يكشف لهم قلوبهم ليعرفوا ذواتهم . ولكن كيف يمكن أن يكونوا طاهرى القلب طالما كانت تلك الخطية لا تزال متأصلة فى قلوبهم . عندما يقصد الطبيب العظيم شافى نفوسنا وأجسادنا أن يشفى أى جرح لا يعالجه من الخارج بل من الداخل . لهذا فقد سلك الرب مع هذه الجماعة بضع خطوات متعاقبة عجيبة للوصول لهذه الغاية . وسنرى فيما بعد كيف أن الرب يخضع كل ظروف حياتنا الخارجية لكى يكشف أعماق قلوبنا ثم يعيدنا الى حياة الشركة معه .

وسندرس فيما يلى السبل التى سلكها الله لايقاظ ضمائر هذه الجماعة من سباتها العميق ، ولا شك فى أن ذلك يستحق الدرس ، لانه ان كان هنالك أمر يحتاج اليه جماعة المسيحيين بل يحتاج اليه العالم فهو ضرورة الاقتناع بالخطية . وما أشد حاجة العالم اليوم لبوق القيامة ليطلق الصوت عالياً لايقاظ ضمائر البشر وبعث الخطايا الجاثمة فى قلوبهم لكى تقوم من قبورها . لانه أية منفعة من تقديم المخلص لمن لا يشعر بالحاجة اليه ، ومن ذا الذى يبذر البذار على رجاء الحصاد ما لم يتعمق بالمحراث فى جوف الارض .

(١) كانت الخطوة الاولى لاقناعهم بالخطية شدة ضغط المجاعة . لقد عمت المجاعة كل البلاد وشملت أيضاً أرض كنعان . واتباعاً

للسوابق التى كان فيها سكان كنعان ينزحون الى أرض مصر أيام المجاعات نرى يعقوب ينهض هم بنيه بعد أن استولى عليها اليأس ويقول لهم « لماذا تنظرون بعضكم الى بعض . إنى قد سمعت أنه يوجد قمح فى مصر . انزلوا الى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت . فنزل عشرة من إخوة يوسف ليشتروا قمحاً من مصر» تك ٤٢ : ١ — ٣

عندما كانت البلاد فى رخاء لم يحزن إلا يعقوب ، أما رأوبين وشمعون والباقون فلم يجدوا مبرراً للحزن . ولكن عندما حلت بهم المجاعة تفتحت قلوبهم وحانت الفرصة لكى يؤهلوا لبعض الاختبارات الروحية التى لم يكونوا يحلمون بها قط . نعم وحانت الفرصة لكى يلتقوا بيوسف

وهذه هى معاملة الله لنا نحن أيضاً . فانه يكسر قوام الحياة ويلاشى موضوع اعتمادنا ويرسل مجاعة شديدة لتبدد الحرث والزرع . لكى تهيأ لنا الفرصة فى ذلك الوقت — وقت الحزن والحيرة والارتباك — للاعتراف بخطايانا وقبول كلمات المسيح التى يناديها قائلا « تعالوا الىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الاحمال وأنا أريحكم »

أيها القارىء العزيز ! هل تجوز أنت الآن فى مجاعة ، هل توشك مواردك أن تنضب ، وهل تنظر الى المصائب التى تحل بك

بعين اليأس والقنوط ؟ تشجع فانما كل هذه الظروف قد حلت بك لكى تقودك الى المسيح والى حياة أفضل . فما لا شك فيه أن هؤلاء الاخوة عندما تأملوا فيما بعد فى أيام الضيق والمجاعة هذه نظروا اليها كأفضل الأيام التى مرت عليهم فى الحياة لانه لم يكن ممكناً لأى شيء آخر أن يأتى بهم الى يوسف . ومما لا شك فيه أنه سيأتى اليوم الذى فيه تشكر الله من أجل ما مر بك من مصائب وأحزان ، وعندئذ تستطيع أن تقول « قبل أن أذلل أنا ضللت . أما الآن فحفظت قولك » مز ١١٩ : ٦٧

(٢) اما الخطوة الثانية فقد كانت الخشونة التى استقبلهم بها يوسف . ويظهر انه كان يشرف بنفسه على عملية بيع القمح فى بعض الاسواق الكبيرة . وربما كان ذهابه بقصد خاص لعله يبصر احد الاسماعيليين الذين قد ارتسمت صورتهم فى مخيلته ، او لعله يسمع بعض الاخبار عن بلاده وعن بيت ابيه . او ربما كان يترقب او يصلى بان يحضر اخوته اليه . واخيراً . . . . حل اليوم المنتظر . فقد كان فى احد الايام واقفاً كعادته منشغلا بالاشراف على حركة البيع والشراء ، واذ به يبصر على حين غفلة اولئك الرجال العشرة . وحالما وقع بصره عليهم خفق قلبه ولم يجد حاجة للتأكد من شخصيتهم اذ انه « عرفهم » ع ٧

اما هم فقد كان طبيعياً ان لا يعرفوه . وكيف يتسنى لهم ذلك

وقد صار رجلا فى عنفوان قوته فى الاربعين من عمره بعد ان تركوه فى السابعة عشرة . لقد رأوه الان فى حال من العظمة والمجد وقد تركوه مجرداً حتى من قميصه القروى البسيط . لقد رأوه متسلطاً على كل ارض مصر وقد كانوا يتوقعون ان يلتقوا به (لو كان ذلك قد خطر ببالهم ، ولا شك انهم تذكروه حال دخولهم البلاد) ضمن العبيد الذين يفلحون الارض او العمال الذين كانوا يسخرون فى تشييد الاهرامات .

وعندما مثلوا فى حضرته « سجدوا له بوجوههم الى الارض » ع ٦ وبذلك تموا حرفياً ذلك الحلم الذى رآه فى حداثته وهم لا يدرون .

اما يوسف فقد ادرك فى الحال انهم لم يعرفوه . ولذلك « تنكر لهم » ع ٧ لكى يعرف ان كانوا قد ندموا على خطيتهم ، ومن الناحية الاخرى لكى يعرف سبب تخلف بنيامين عن رفقتهم . ثم « تكلم معهم بجفاء » ع ٧ واتهمهم بانهم جواسيس ع ٩ ورفض ان يصدق كلامهم وأمر بان يزجوا فى اعماق السجن حتى يفحص امرهم ثم « اخذ منهم شمعون وقيده امام عيونهم »

وانى اعتقد بان يوسف فى كل ذلك قد كرر تماماً نفس المنظر الذى حدث عند الجب . فانهم عندما رأوه يقترب منهم هجموا عليه واتهموه بالتجسس عليهم لنقل اخبارهم وتصرفاتهم الردية

لابيهم كما فعل من قبل ، وهذا يفسر لنا سبب اتهامه اياهم الآن بانهم جواسيس . لا شك فى أن الصبى أكد لهم بانه لم يكن جاسوساً وانه انما حضر لكى يفتقد سلامتهم أما هم فقابلوه بخشونة وغلظة وهى نفس الخطة التى سلكها الوالى معهم الآن . وربما يكونون قد دفعوه فى الجب ليبقى فيه حتى يتحققوا صدق كلامه كما فعل معهم يوسف الآن ، وقد يكون شمعون هو رأس العصابة فان كان الامر كما ذكر — ولعله كذلك — فان كل تلك الظروف كانت كافية لتحريك ضمائرهم وذكرياتهم .

لعلكم تتذكرون رواية هملت وكيف أن عم هملت عندما قتل أخاه أى والد هملت وملك الدانيمارك وكان ذلك سراً ، افتضح السر وعرف الامير الشاب ما استتر ، وأمر بتمثيل جناية القتل بصمت وسكون أمام الملك والملكة وضيوفهما . ولم يكد القوم يفرغون من تمثيل الرواية حتى تحرك ضمير الملك ولم يطق لظى نيران الضمير القاسية وقام عن عرشه وخرج من غرفته وهو يقول :

يالشناعة جرمى ، فقد صعدت رائحته الى السماء
ولقد استحق اللعنة الأولى التى انصبت
على قاتل الانسان الاول لاخيه الانسان

ولا شك فى أن هؤلاء الأخوة أيضاً عندما انفرد كل منهم فى حجرته فى السجن وتأمل فى المعاملة القاسية التى عومل بها قد

تذكر تلك القسوة التى عاملوا بها ذلك الشاب البرىء منذ سنوات طويلة

وتذكرنا هذه الظروف بحادثة أخرى فى العهد القديم . فان امرأة صرفة عندما مات ابنها صرخت فى وجه إيليا النبي قائلة « هل جئت الىّ لتذكير إثمى وإماتة ابنى » ١مل ١٧ : ١٨ . لقد حاولت تلك المرأة أن تتغاضى عن إثمها وتطرحه فى بحيرة النسيان ولكن موت الطفل قد أعادها وأعاد كل ذكرياتها إلى ذاكرتها ، فمثلت أمامها الخطية ، وهى لم تتذكر لذة الخطية لان هذه كانت قد مضت وانتهت ، بل تذكرت مرارتها

ان للذاكرة عملا عظيماً وعجيباً فى الانسان فانه بها يسجل الحوادث ثم يستعيدها فيما بعد ولولاها لبقىَ العقل صفحة بيضاء تمر عليها الحوادث دون أن تترك عليها أثراً كما تمر الصور أمام المرآة . ومع أهمية هذه القوة العجيبة فى الانسان فانها تؤدى عملها فى سر وفى لغز دون أن يدرك الانسان شيئاً من أسرارها

على أنه ان استطاعت تلك الذاكرة أن تختزن كل ما يمر بها من مناظر ومن حوادث فاننا لا نستطيع أن نتذكر كل شىء فى كل حين . ولكن قد تقع العين أو تسمع الاذن امراً من الأمور أو جزءاً من الأخبار فتستعيد الذاكرة إحدى الحوادث القديمة مما لها علاقة بهذا الأمر . كذلك الحال فى أمر الخطية ، فقد تكون أيها

القارىء ارتكبت خطية منذ سنوات طويلة وحاولت أن تتناساها وربما تكون قد أفلحت فى ذلك ولكن ثق بأنها لا زالت مختزنة طالما أنها لم تغفر ، وقد يعيدها إلى ذاكرتك أتفه الأمور فتبصر شبحها جاثماً أمامك كأنك قد ارتكبتها بالامس فقط . أما إن كانت الخطية تغفر فانها تنسى تماماً كما يقول الله « لا أذكر خطيتهم بعد » ار ٣١ : ٣٤ وأما إن كانت تنسى دون أن تغفر فقد تعود الى الذاكرة فى أى وقت وتسبب انزعاجاً لا يحتمل

هكذا كان الحال مع أخوة يوسف فانهم عندما طلب منهم ذلك الحاكم الغريب الجنس بينة على أنهم ليسوا جواسيس « قالوا بعضهم لبعض حقاً أننا مذنبون الى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه الضيقة » ع ٢١

(٣) وأما الخطوة الثالثة فقد كانت أعطاءهم فرصة فى السجن ليصغوا لروح الله الذى يتحدث اليهم فى هدوء السجن . لو لم يكن روح الله هو المرشد وهو المقنع لكانوا قد أدركوا أنهم إنما قد ارتكبوا خطأ فى حق أخيهم دون أن يدركوا إثم هذا الخطأ . انه لا يكفى أن نعرف أن الخطية نقص وخطأ بل يجب أن ندرك ما فيها من اثم وجرم. وهذا هو ما يستطيع روح الله القدوس وحده أن يرشد اليه . هو وحده الذى يبكت على خطية . وعندما يعمل

فى القلب تصرخ النفس قائلة « ويحى أنا الانسان الشقى » (أو الخاطىء) « حقا أننا مذنبون الى أخينا »

ايها القارىء ! هل تجد فى هذه الكلمات رسالة خاصة لنفسك ؟ هل انت حقاً مذنب ؟ قد تكون فى ايامك الاولى اسأت الى شخص ما ـ رجلا او امرأة ـ قد تكون سبباً فى ان يتعلم احد الاولاد خطية الحلف . أو قد تكون اهملت فى أمر خلاص اولئك الذين أوكلهم الله لعنايتك . وانت ترى الآن بعض الناس يعاملونك كما عاملت غيرك فى القديم . وانت الآن تطلب الخلاص لانك تدرك مرارة هزء الناس بك او اساءتهم اليك او مقاومتهم ايك . وانت اذ تدرك ذلك تتذكر الماضى اذ يعود اليك بكل ما فيه من مرارة . لهذا فانك تصرخ الى الله قائلا « اللهم اغفر خطيتى . اننى حقاً مذنب الى تلك النفس التى قد خدعتها او اسأت اليها » . وهذا هو عمل روح الله القدوس . فدعه يتمم عمله المقدس فى قلبك ولو طال الامد .

على انه لابد ان يكون هنالك على الاقل اخ قد اسأت اليه . هل تحتاج الى ذكر اسمه ؟ انه لايخجل من ان يدعوك اخاً ، اما انت فطالما خجلت منه . انه لم يتردد عن ان يصاب لاجلك ، واما انت فلم يخطر ببالك ان تقدم الشكر اليه . انه لم يفتر لحظة عن ان يقرع باب قلبك لعلك تقبله فيبارك حياتك ، أما أنت فقد تركته

واقفاً فى ندى الليل . انه قد منحك المواهب العظمى الثمينة مجاناً ، أما انت فقد دستها تحت قدميك وعائدته وصلبته لنفسك من جديد لا شك فى انه لا بد ان يأتى اليوم الذى فيه يقول اليهود عن ذاك الذى رفضوه وسلموه للموت « حقا أننا مذنبون الى اخينا » على ان هذه الكلمات ينبغى ان يرددها ايضاً الكثيرون منا بكل أسف وحزن

ولما قال هؤلاء الاخوة ذلك الكلام كان يوسف واقفاً بالقرب منهم . ولكن لانهم « لم يعلموا أن يوسف فاهم » فانه لم تبدُ على وجوههم أو فى عيونهم علامات التأثر . كم من النفوس المثقلة بالحزن والخطية تذهب الى الكهنة وتقص عليهم ما جرى منها وهى لا تعلم أن ذاك الرقيب واقف بالقرب منها يسمع ويفهم كل شىء .

وفى ع ٢٤ نجد شيئاً من التناقض الغريب . فبينما نقرأ عن يوسف انه « تحول عنهم وبكى » نعود ونقرأ فى الحال أنه « أخذ منهم شمعون وقيده أمام عيونهم » . وطبيعى أن الاخوة لم يشهدوا إلا هذا المنظر الاخير ومنه حكموا أنه قاس غليظ القلب . ولهذا فانه لا بد أن تكون قلوبهم قد امتلأت رعباً وخوفاً . ذلك لانه قد خفى عن ادراكهم ذلك القلب الممتلىء رقة وعطفاً ومحبة ، الذى كان يخفق فى داخله وراء تلك القسوة الظاهرية . كما انه لم يكن

ليخطر على بالهم قط ان حجز شمعون كان بمثابة خيط حريرى قصد يوسف أن يجذبهم به الى نفسه ، وكان خطوة ضرورية لاتمام عملية تذكيرهم بأخيهم الآخر الذى سبق أن فقدوه منذ سنوات طويلة .

وهـذا هو نظام الحياة فى كل حين . فنحن نتحمل الآلام المريرة فى هـذه الحياة . قد نسجن أو نتحمل الخسائر الجسيمة أو الاهانات الشديدة ثم نحسب الله قاسياً وبلا رحمة . ونحن قلما ندرك كيف انه فى ضيقنا يتضايق ، أو كيف يمتلىء قلب ذلك الاخ حزناً فى كل مرة يتنكر لنا ويعاملنا بقسوة . ونحن لو كشف عنا الحجاب لنرى عطفه وحبه ورقته التى يستتر وراءها غضبه لامتلأت قلوبنا ثقة بأننا لا شك محفوظون فى غضبه كما فى رضاه .

على انهم قد وجدوا أيضاً راحة فى متاعبهم . فعدالهم قد ملئت قمحاً ، ثم منحوا زاداً للطريق حتى لا يمسوا ما حملوه من قمح لبيتهم ، وفضة كل واحد قد أعيدت فى فم عدله ع ٢٧ . كل ذلك كان من مظاهر المحبة الشديدة ، ولكنهم حينما عثروا على فضتهم فى عدالهم امتلأت قلوبهم رعباً وخوفاً . ان الضمائر الآثمة تسىء فهم وتقدير أعظم البركات التى يتحنن بها الرب علينا ، وبسبب فسادها تمتص السم من الدسم . كم من مرة نصرخ مع اولئك الرجال « قائلين ما هذا الذى صنعه الله بنا » ع ٢٨ وتمتلىء قلوبنا خوفاً

فى الوقت الذى تنهال علينا فيه بركات الله التى من أجلها كان يجب أن نفرح ونسر كل أيام الحياة .

فلنثق اذاً بانه لن يصيبنا شىء فى الحياة مهما كان قاسياً دون ان ننال عنه الجزاء . ولنتطلع الى ما وراء الحجب لنرى ذلك القلب الممتلىء حباً يتدفق عطفاً من نحونا . وفى وسط تأديباته يخلع علينا بعضاً من عرابين محبته لكى يحفظ القلب من ان يبتلعه اليأس الكامل .

لا تحكم على أعمال الله بحواسك الناقصة
بل كن واثقاً فى رحمته ومحبته
فانه وراء غضبه وسخطه
يخبىء وجهاً باشاً ومبتسماً

الفصل الثامن

حديث يوسف الثانى مع اخوته

(تكوين ٤٣)

انها لمأمورية شاقة ان نتأمل فى كل دقائق وتفاصيل هذه القصة ، ولهذا فسنكتفى بالتأمل فى اهم حوادثها

وسنبدأ هذا الفصل بالتأمل فى ذلك المنظر الغريب الذى نرى فيه يوسف يأمر بان يخرج عنه كل انسان ويتواضع جداً وينزل عن عرشه ثم يعانق أخوته ويبكى . ثم لنتأمل فى موضوع آخر — ولو كان أقل أهمية — لنتأمل فى الخطوات التالية لهذا المنظر التى أدت الى مجىء العائلة المقدسة الى مصر وصفح يوسف عنها وبركته لها . وليعطنا الروح القدس بصيرة مستنيرة لكى نتعمق فى فهم هذه الحقائق لان يوسف الذى قد ارتفع من السجن الى العرش ان هو الا صورة واضحة لذاك الذى بعد أن رقد فى القبر ارتفع عن يمين الآب ليعطى توبة لاسرائيل ومغفرة الخطايا . ونحن اذ

نتأمل فى الخطوات التالية التى بها قرب يوسف اخوته اليه قد ندرك الخطوات التى يتخذها المخلص لكى يخضع نفوسنا حتى يقربنا اليه .

لعل هذه الكلمات يطلع عليها بعض الاشخاص ممن يعيشون فى هذا العالم القفر وهم لا يفكرون الا فى الامور المنظورة وفى الخطية ولا يعلمون شيئاً عن اخيهم الاكبر الجالس على العرش يفيض قلبه حباً من نحونا . رجائى من هؤلاء أن يقرأوها بل يدرسوها ويدققوا البحث فيها لانها تنير بعض خفايا الظلام فى حياتهم وقد توضح لهم بعض ما غمض عن أعينهم فى الحياة .

(١) لقد ضيقت المجاعة الخناق على يعقوب وبنيه تك ٤٣ : ١ لم يكن ممكناً أن تتجه أنظار يعقوب الى مصر لو لم تكن المجاعة قد اكتسحت أرض كنعان أيضاً . ولقد حملت هذه المجاعة أولاده لينزلوا الى مصر ليشتروا قمحاً . وحتى مع حجز شمعون لم يكن ممكناً أن يفكروا فى العودة الى مصر لولا شدة ضغط المجاعة التى طالما أخرجت الانسان والحيوان عن طبيعته . وفى أول الأمر قاوم الوالد الشيخ فكرة أخذ بنيامين معهم أما ابناؤه فقد اصروا على طلبهم .

وتحت الحاح أبنائه الشديد رضخ أخيراً بأن يسلمهم بنيامين بعد أن أشار عليهم بأخذ هدية معهم الى الوالى ليستعطفوه

ويستميلوا قلبه تك ٤٣ : ١١ واعادة ضعف الفضة التى ردت اليهم فى أفواه عدالهم ع ١٢ وأخيراً زودهم بصلاة حارة الى القدير ليرعاهم بعين عنايته ع ١٤ . وهكذا رأينا الله برحمته قد أغلق كل باب آخر ولم يبق أمامهم مفتوحاً سوى ذلك الباب الواحد الذى منه يدخلون لكى يثمروا ويكثروا . فلم يكن هنالك أمامهم الا أن ينزلوا الى مصر .

وهكذا الحال معك فى الحياة أيها القارىء العزيز . قد يكون متوفراً لديك كل ما تشتهيه فى الحياة من صحة ومال وجمال وشباب ونجاح . ولكن ما هى حالة قلبك ؟ هل فكرت يوماً فى الاساءات المتكررة التى توجهها الى أخيك الأكبر ؟ هلا وجهت افكار قلبك وأشواقك الى فوق ؟ هل أنت تعيش للحياة الباقية ؟ أنت تعرف نفسك جيداً وقد تكون مقصراً فى كل ذلك ، لهذا فقد أرسل الله المجاعة أو المجاعات فحرمتك من كل عزيز ، قد تكون الخسائر حلت بك فى مركزك أو فى مالك أو أصدقائك أو صحتك أو بنيك . قد تكون فقدت يوسف ثم عدمت شمعون وقد يكون بنيامين أيضاً على وشك أن يؤخذ منك . فاذا تلفتّ يميناً أو يساراً وجدت كل شىء ضدك .

ايها العزيز : ان التيار اقوى من ان تستمر فى مقاومته . عند بدء هبوب العاصفة قد تقف موقف المعاند وتأبى الرضوخ والتسليم

ولكن احذر فانها لخطية مميتة ان تقاوم محبة الله . ولقد جرب يعقوب ذلك عندما جاهد مع الله فانخلع حق فخذه . أن الله لا بد متمم امره أخيراً إن لم يكن اولا . وان المجاعة لا بد ان تستمر بل تشتد حتى يعود الابن الضال الى ابيه نادماً وتائباً. عبثاً يحاول ربان السفينة تخليصها إلا اذا عاد النبي الهارب (يونان) الى بلاده التي هرب منها . . لهذا يقول الله « لاني لافرايم كالاسد ولبيت يهوذا كشبل الاسد . فاني انا افترس وامضي وآخذ ولا منقذ . اذهب وارجع الى مكاني حتى يجازوا ويطلبوا وجهي . في ضيقهم يبكرون الي » هو ٥ : ١٤ و ١٥ فليتك تجيب كما اجاب النبي بعد ذلك مباشرة « هلم نرجع الى الرب لانه هو افترس فيشفينا . ضرب فيجبرنا » هو ٦ : ١

(٢) وهنا استيقظ الضمير . لقد مضى نحو العشرين عاماً والضمير نائم . وطالما كانت الحال كذلك فلن يمكن أن يكون هنالك سلام حقيقي بين يوسف وإخوته . فلم يكن ممكناً أن يشعروا بأنه قد صفح عنهم ، وهو كان يشعر دواماً بأن هنالك بعض السدود في مجرى محبته . لهذا فانك لا تستطيع أن تحس بالراحة الكاملة من جهة صديقك طالما كان هنالك ولو أثر لسوء التفاهم بينكما . من أجل هذا يجب أن يستيقظ الضمير ويعترف بخطأه

ويتوب عنه . وهذا هو المفتاح الذى به نستطيع أن ندرك تصرفات يوسف .

فانه لكى يوقظ ضمائرهم النائمة كرر على قدر استطاعته نفس التصرفات التى سبق أن سلكوها نحوه . وقد سبق أن تأملنا ذلك فى الصحائف السالفة . فانه قال لهم « جواسيس أنتم » وهذه صدى تلك الكلمات القاسية التى سبق أن وجهوها نحوه . أما السجن الذى حُجزوا فيه ثلاثه أيام فكان يقابل الجب الذى طرحوه فيه . لعل أحسن الطرق لنعرف حقيقة شرورنا وآثامنا هى أن نتأمل فى تصرفاتنا مع الآخرين . ولقد نجحت الخطة التى سلكها يوسف وأتت بالغرض المقصود . اسمع ما رددوه فى تأوهاتهم « حقاً أننا مذنبون الى أخينا »

وهنا أيضاً نجد مفتاحاً لكشف اسرار الحياة ومشاكلها . فان الله يسمح فى بعض الاحيان أن نعامل كما عاملناه لكى نستطيع أن ندرك اثمنا على حقيقته فنرجع اليه بالتوبة وطلب المغفرة . قد يكون ابنك فسد وتحول عن الطريق الصالح المستقيم الذى أردته له ولم تفلح معه كل الوسائط التى اتخذتها قبله . هل تدرك ما فى ذلك من مرارة . ربما يكون ذلك ملفتاً نظرك الى شعور الله من نحوك فانك رغم وسائط النعمة الكثيرة التى قد اتخذها معك قد تمردت عليه . ربما يكون أخوك قد وقع فى ضيقة وطلب منك بالحاح شديد

أن تمده بمساعدة على أن يردها اليك بربا ؛ أما الآن وقد اصبح فى يسر ورخاء فانك تطلب منه ان يرد اليك ما سبق ان اقترضه ولكنه إما أن يقابلك بالتسويف أو بالهزء والاحتقار . هل تدرك ما فى ذلك من مرارة ؟ يجب أن تعرف شعور الله من جهتك بعد أن أسعفك فى ضيقك فقطعت معه الكثير من العهود ونذرت له الكثير من النذور ولكنك الآن قد تعوجت وعبثاً يحاول الله أن يذكرك بكل احساناته لك فى الماضى

أنت تعرف معنى وقوفك على باب أحد أصدقائك يوماً بعد يوم موقف المطالب بدون جدوى. هل تدرك ما فى ذلك من مرارة؟ يجب أن تعرف أن هنالك من يقف على باب قلبك — ربما منذ سنوات طويلة — وهو يقرع يرجو الدخول لكى يغنى حياتك .

أن ذلك القلب الذى لا توقظه كل هذه الأصوات لا بد أن يكون مستغرقاً فى نومه

(٣) تأمل فى مظاهر حب يوسف العميق لهم. فانه حالما فرغ من اختبارهم دعاهم لتناول الطعام معه على مائدته . ولما دخلوا بيته قوبلوا فيه بكل مظاهر الحفاوة والاكرام كأنهم لم يكونوا رعاة أغنام فقراء بل قوماً من عظماء البلاد . أما مخاوفهم بسبب الفضة التى ردت اليهم فى عدالهم فقد بددها ذاك الرجل الحكيم التقى الذى على بيت يوسف اذ أكد لهم بانهم إن كانوا قد وجدوا فضتهم فى

فى عدالهم فانما هى عطية من الله كما أكد لهم بان ثمن القمح الذى أخذوه قد وصل اليه ع ١٨ — ٢٣ وحالما دخل يوسف خروا أمامه ساجدين إتماماً لذلك الحلم الذى رآه فى حداثته . ثم سألهم عن سلامة أبيهم ، ولا شك فى أنه استعمل فى حديثه مع بنيامين لحجة خاصة كانت كافية بان تكشف لهم سر الأمر كله لولا أنهم لم يكن يدور بخلدهم أن يروا يوسف فى هذا الحاكم المصرى العظيم .

فى هذه الأثناء كان قلب يوسف يخفق بشدة فى داخله واستمر خفقانه فى ازدياد حتى لم يستطع أن يضبط نفسه وكاد ينفجر أمامهم لولا أنه أسرع فى الاختفاء عنهم « واستعجل يوسف لأن أحشاءه حنت إلى أخيه وطلب مكاناً ليبكى . فدخل المخدع وبكى هناك . ثم غسل وجهه وخرج وتجلد . وقال قدموا طعاماً » ع ٣٠ و ٣١

وهذا المنظر قد نراه يتكرر أمام أعيننا اليوم . فان ذلك الاخ الاكبر الذى رُفض من اخوته ، قد يتظاهر بأنه غريب عنا ويتظاهر بالقسوة علينا . ثم قد يسبب لنا بعض الآلام والأحزان . وقد يقيد شملنا أمام أعيننا . على أنه رغماً عن كل ذلك فانه يحبنا محبة دونها محبة كل الآباء لأبنائهم ومحبة كل الاصدقاء لاصدقائهم متجمعة . وهذه المحبة لا زالت تحاول أن تظهر نفسها . فقد تضع

يوسف و بنيامين يتلاقيان اخيراً

فضة فى عدالنا ، وتدعونا لبيتها وتولم لنا الولائم ، وتوعز لوكلائها بالترحيب بنا ، وتغسل أقدامنا ، وتطلب لنا من الله كل نعمة

(٤) وهنالك تحطمت كل ثقتهم فى أنفسهم . فانهم ظنوا أن الاخبار التى سيقصونها عن تاريخ عائلتهم ستعلن براءتهم ولكن يوسف رفض تصديقها وطلب منهم أن يثبتوا صحتها . ثم أنهم كانوا مطمئنين بسبب الفضة التى اتوا بها وظنوا بانها ما دامت فى أيديهم فان ذلك الحاكم لا يسىء الظن بهم ، ولكنهم حالما خرجوا من البلاد فى طريقهم الى وطنهم « فتح أحدهم عدله ليعطى علفاً لحماره فى المنزل فرأى فضته واذا هى فى فم عدله . فقال لاخوته ردت فضتى وها هى فى عدلى. فطارت قلوبهم وارتعدوا بعضهم فى بعض قائلين ما هذا الذى صنعه الله بنا » تك ٤٢ : ٢٧ و٢٨

وهذا هو نفس ما يحدث كل يوم مع الخطاة ، فانهم اذ يريدون أن يتصالحوا مع الله يحاولون أن يفعلوا ذلك بمجهودهم الشخصى . وهم فى ذلك يشبهون قايين الذى أتى بقربان من صنع يديه ، ويشبهون الفريسيين الذين يأتون لله بصلواتهم وعشورهم وتقدماتهم ، ولكنهم حالما يقدمون تقدماتهم الى الله يدركون أنها لا قيمة لها وانها قد « ردت اليهم » . نعم فان رحمة الله التى هى طعام الروح الحقيقى لا تشترى ولا تقدر بمال ، بل يجب أن تنال عطية مجانية من الله . قال يعقوب لاولاده عن رد الفضة « لعله كان سهوا »

ع ١٢ ولكنه لم يكن كذلك بل كان حلقة من خطة حكيمة وضعت لقصد خاص ، لانه لا شيء من السهو أو الصدفة فى حياة الانسان.

ثم أنهم كانوا واثقين فى نزاهتهم . عندما هموا للرحيل لبلادهم للمرة الثانية وكانوا يجهلون ما خبيء فى عدل أحدهم كانوا فرحين بعودة شمعون وبنيامين معهم رغم القلق الشديد الذى استحوذ على نفس أبيهم الشيخ . ثم أنهم كانوا مغتبطين بسبب ما وجدوه من نعمة فى عينى الحاكم وإلا لما كان قد أولم لهم تلك الوليمة الفاخرة فى اليوم السابق . وفوق هذا وذاك فقد كانوا مغتبطين لان عدالهم قد ملئت على قدر ما يمكن أن تسع . على انهم لم يكادوا يغادرون أبواب المدينة حتى بوغتوا بسماع صوت وكيل يوسف قفوا ! قفوا ! « لماذا جازيتم شراً عوضاً عن خير » فاجابوه « لماذا يتكلم سيدى مثل هذا الكلام ... هوذا الفضة التى وجدنا فى أفواه عدالنا رددناها اليك... فكيف نسرق من بيت سيدك فضة أو ذهباً » واذ كانوا واثقين جداً من نزاهتهم استمروا فى حديثهم قائلين « الذى يوجد معه من عبيدك يموت . ونحن أيضاً نكون عبيداً لسيدى » وهكذا « استعجلوا وأنزلوا كل واحد عدله الى الارض وفتحوا كل واحد عدله » وابتدأ الرجل يفتش عدالهم على قارعة الطريق مبتدئاً من الكبير الى الصغير « فوجد الطاس فى عدل بنيامين » وحسناً فعل يهوذا واخوته إذ أتوا الى بيت يوسف وسقطوا أمامه على

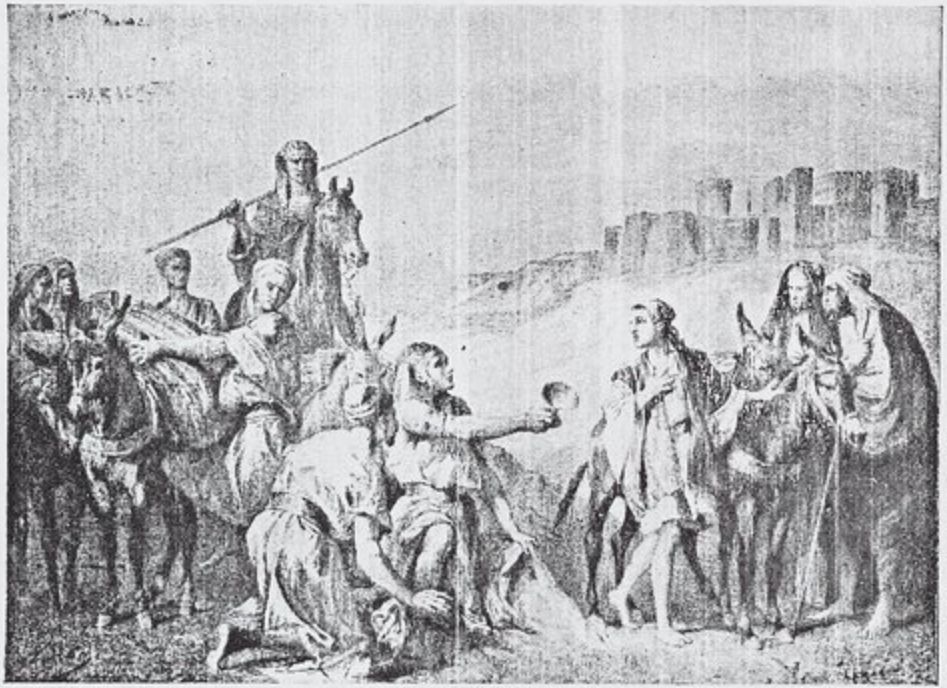

فوجد الطاس في عدل بنيامين

الارض قائلين « ماذا نقول لسيدى ؟ ماذا نتكلم ؟ وبماذا نتبرر ؟ الله قد وجد اثم عبيدك » لقد تجردوا من كل بقية للثقة بالنفس ولم تبقَ لهم بارقة أمل فى النجاة إلاّ فى رحمته .

ان البعض يشبهون بنيامين . فانهم يبدون امامنا بلا لوم ولا خطية ومثلهم فى ذلك مثل ذلك الشاب الذى احبه يسوع الذى جاءه مفتخراً بانه بلا خطية وقد حفظ الناموس منذ حداثته . امثال هؤلاء نعدهم نحن كما يعتبرون هم انفسهم مبررين وبلا خطية ولكنهم ان كانوا يظهرون امامنا صالحين فلاننا نقارنهم بالخطاة الذين هم اعرق منهم فى الخطية . اما ان كنت تقيسهم بالمقياس الكامل اتضح لك بانهم يستحقون دينونة الله الكاملة . « لو اغتسلت فى الثلج ونظفت يدى بالاشنان فانك فى النقع تغمسنى حتى تكرهنى ثيابى » اى ٩ : ٣٠ و ٣١ . فالتلميذ عندما يقارن خطه بخط غيره من زملائه قد يعتقد ان خطه حسن ولكنه ان قارنه بالانموذج الموضوع امامه تبين له قصوره ورداءته . وكم من البشر يعتقدون فى انفسهم الطهر والعفاف لان عيونهم قد اغمضت ولا يبصرون قداسة المسيح . هؤلاء يجب ان يعرفوا بانهم خطاة لا يفرقون عن غيرهم من الخطاة الأثمة . فأن بنيامين قد تساوى بشمعون ويهوذا اذ وجد الطاس فى عدله

كان احد خدام الله يتحدث مرة مع سيدة تعتبر من فضليات

قومها . وفى اثناء الحديث اخبرها بانها فى مسيس الحاجة الى بر المسيح . اما هى فاجابت : انى ياسيدى لا أتأخر مرة واحدة عن الكنيسة ، اداوم على قراءة كتابى المقدس كل يوم ، افعل الخير للاخرين ، لا اتأخر عن اى واجب اراه ضرورياً ، فهل تعنى ان كل اعمالى هـذه لا قيمة لها فى نظر الله . فقال لهـا : لا يمكنك الحصول على بر المسيح ان كنت تتمسكين ببرك الذاتى . وقد كان منظراً مؤثراً جداً ذلك الذى بدت فيه هذه السيدة اذ تغير وجهها فجأة . ذلك لان الطاس وجد فى عدل بنيامين . فقد اطرقت مليـاً وبدأت تفكر فى الصراع الذى قام فى داخلهـا . واخيراً انهمرت الدموع من عينيها ثم رفعت عينيها الى السماء وصرخت قائلة : ربى وإلهى ان اعمالى كلها كلا شىء قدامك . وفى لحظة جثت على ركبتيها وصلت وقبلت الرب يسوع مخلصاً شخصياً لها . حقاً انه حالما يوجد الطاس فى عدل بنيامين يرجع اليه ويجثو عند قدميه

ايها القارىء العزيز . تأمل فى عدلك فقد يوجد طاس مسروق مهما اشتهرت بالطيبة والتقوى والصلاح . ربما تجهل انت وجود هذا الطاس ، وربما كنت ممن يفتخرون بحياتهم الطاهرة ، وربمـا كنت متوهماً بان المسيح راض عن حياتك . ولكنك لو تأملت قليلاً لتبين لك بانك قـد سلبته ما له . فانك تستخدم لمصلحتك الشخصية ما وهبك من مـال ووقت ومواهب اخرى غير عالم بانه

انما قد اشتراها لك بدمه الثمين لكى تستخدمها فيما يؤول لتمجيد اسمه القدوس . واعلم بانك ان كنت تتغافل عن نقائصك فان الله ليس بغافل عنها فانه « فاحص القلوب والكلى » مز ٧ : ٩ « الاول فى دعواه محق ، فيأتى رفيقه ويفحصه » ام ١٨ : ١٧

فكيف العمل إذاً :

(أولا) لا تتوان « لاننا لو لم نتوان لكنا قد رجعنا الآن مرتين » تك ٤٣ : ١٠ لو لم تتوان لكنت الان قد صرت مسيحياً غيوراً سعيداً . ولوط لما توانى أمسك الرجلان بيده تك ١٩ : ١٦ فاسرع أخى ولا تتوان قبل أن يغلق الباب وبعدئذ لا يمكن أن يُفتح

(ثانياً) اعترف اعترافاً تاماً بكل خطاياك . « فتقدموا الى الرجل الذى على بيت يوسف وكلموه » ع ١٩ واخبروه عن كل ما يختص بالعثور على الفضة وردوها كاملة . فتعال الآن أخى ، الآن ، قبل الفراغ من قراءة هذه الكلمات ، وتحدث مع يسوع واخبره بكل ما فى قلبك . رد اليه أو للاخرين ما سلبته منهم بغير حق « لما سكت بليت عظامى من زفيرى اليوم كله. لأن يدك ثقلت علىّ نهاراً وليلا . تحولت رطوبتى الى يبوسة القيظ . أعترف لك بخطيتى ولا أكتم أثمى . قلت أعترف للرب بذنبى . وأنت رفعت

أثام خطيتي » مز ٣٢ : ٣ — ٥ « من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يُرحم » ام ٢٨ : ١٣

(ثالثاً) اتكل بكليتك على رحمة المسيح . فيهوذا لم يلتمس المعاذير لنفسه أو لاخوته لانه لم يكن ممكناً أن يجد أى عذر . ولكنه سلك طريقاً أوفر حكمة إذ التمس الرحمة . التمس الرحمة بهم ، وبالصبى الصغير وبذلك الوالد الشيخ . فجرب انت هذه الطريقة مع ربك فانك لن تخيب . توسل اليه — وانت تقرع على صدرك — قائلا « اللهم ارحمنى أنا الخاطىء » فانه لن يردك بل يقول اليك بصوته المتهدج « تقدموا الىّ فأنا يسوع أخوكم . لقد رفعتنى خطاياكم على الصليب ولكن لا تغتاظوا ولا تتأسفوا فان الله قد فعل ذلك للخير لكى أصنع لكم خلاصاً عظيماً »

الفصل التاسع

يوسف يعرف نفسه لاخوته

(تكوين ص ٤٥)

« فوجد الطاس فى عدل بنيامين » ياله من أمر عجيب . لقد وجد طاس ذلك الوالى — الذى كان فى يده سلطان الموت والحياة — مخفياً كأنه مسروق . ولكن كيف أتى الطاس الى ذلك العدل ؟ هذا ما لم يستطع الاخوة ادراكه . فانهم لم يخطر ببالهم أن بنيامين له يد فى هذا الأمر . وكأنما — كما خيل اليهم — قد لعب الشيطان دوراً فى وضع الفضة فى عدالهم فى بداية الأمر ثم فى اخفاء الطاس

ولا شك فى أن كل واحد من الاخوة تمنى لو وجد الطاس فى عدله بدلاً من عدل بنيامين ، فقد تذكروا تردد أبيهم الغريب فى السماح له برفقتهم ، وخيل اليهم بأنه كان يتنبأ بمصيبة أخرى تحل بنيامين . عندما عادوا من مصر فى أول الامر قال لهم بشكل

قاطع « لا ينزل ابنى معكم . لأن أخاه قد مات وهو وحده باق . فان أصابته أذية فى الطريق التى تذهبون فيها تنزلون شيبتى بحزن الى الهاوية » تك ٤٢ : ٣٨ ولكن عندما اشتدت المجاعة اضطر للرضوخ لطلبهم وقال لهم بقلب مفعم بالحزن « الله القدير يعطيكم رحمة أمام الرجل حتى يطلق لكم أخاكم الآخر وبنيامين . وأنا اذا عدمت الاولاد عدمتهم » تك ٤٣ : ١٤ . لقد ظل قلبه مضطرباً وفكره منزعجاً طول هذه المدة بسبب ما توهمه من الشر الذى سيحلّ بابنه ، والآن خيل لهم بان مخاوف ابيهم على وشك أن تتحقق . ولا بد أن يكون كل واحد قد حدثته نفسه عما سيحدث عند عودتهم لأبيهم : كيف اجرأ على مقابلة أبى . فانه حال وصولنا لا بد أن يسأل أولا عن بنيامين ، واذا لم يجده نفذ الى قلبه سهم الحزن القاتل فانزل شيبته الى الهاوية على عجل .

على انه لم يكن أمامهم الا أن يحملوا دوابهم ثانية ويعودوا . ولكن يالله من تغيير عجيب حدث فى طريقهم عما كان عليه هذا الطريق قبل الآن . لقد كانت نفس الشمس مشرقة كما كانت وكل شىء حولهم لم يتغير ، أما هم فقد تلبدت سماؤهم بغيوم كثيفة وسادت أرضهم ظلمة حالكة

والآن لنتأمل فى المنظر التالى الذى يسترعى كل اهتمامنا لانه يبين لنا معاملات الله مع النفوس المنسحقة من أجل خطاياها ، ثم

هو فى نفس الوقت يرمز الى ذلك الوقت الذى فيه يطلب اسرائيل بدموع ذاك الذى سبق ان صمروه على الصليب الذى « رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليعطى اسرائيل التوبة وغفران الخطايا » اع ٥ : ٣١

(١) لاحظ الظروف التى وجدوا أنفسهم فيها . لقد استيقظت الآن ضمائرهم واشتدت وخزاتها . لقد مثلت أمام اعينهم تلك الجريمة التى مضى عليها نحو عشرين عاماً ولم يكن ممكناً الا ان تنطق السنتهم بها . ولا شك فى انهم كانوا دائمى التفكير فيها فان أحزانهم الحالية قد ذكرتهم بأحزان ذلك الصبى قديماً ، وهذا قادهم الى استخلاص تلك الحقيقة وهى أنه لا بد أن تكون هنالك علاقة بين الحالين ، ولهذا فكانت الكلمات التى انسابت على لسان يهوذا — الذى كان ينطق بلسانهم — عندما وقف أمام يوسف معبرة عن فكر قلوبهم « ماذا نقول لسيدى ؟ ماذا نتكلم ؟ وبماذا نتبرر ؟ الله قد وجد اثم عبيدك »

أن الله (يفضح) آثامنا دواماً . فهو يترقب خطواتنا خطوة خطوة . قد تمر السنون دون أن يُعرف الامر ولكن لا يمكن إلا أن يجىء الوقت الذى فيه يفتضح السر : « وتعلمون خطيتكم التى تصيبكم (١) » عدد ٣٢ : ٢٣ . ربما تمضى عشرات السنين على ما

---

(١) ترجمة النص الانكليزى لهذه الآية (ثقوا أن خطيتكم ستفضحكم)

اقترفته من أثم ، ثم تهنىء نفسك أخيراً ـ كما فعل هؤلاء الاخوة ـ بان جرمك قد نسى وبانك الآن فى أمان وسلام ، ولكن قد تأتى بعد ذلك سلسلة من الحوادث ، رتبتها يد العناية الالهية ، فتظهر الحق مثل النور ، وتكتب حكم الله العادل بأحرف من نار ونور على حائط البيت الذى تقيم فيه ولائمك وتشبع ملذاتك الفاسدة بلا اكتراث[1] فما دام الخاطىء لم تغفر له خطاياه فلن يشعر بالراحة والسلام .

روى أحد القسوس مرة خبراً عن حادثة مزعجة فى هذا الصدد . قال : بينما كانت بعض الحفائر تجرى بجوار الكاتدرائية عثر المنقبون على جمجمة ميت فيها مسمار . وكان القسيس حاضراً بالصدفة فتناول الجمجمة وأخذ يقلب فيها ثم سأل أحد الواقفين عما اذا كان يعرف لمن هذه الجمجمة وكيف مات صاحبها . فاجابه على الفور أنها لرجل مسن مات منذ بضع سنوات فجأة ولا زالت زوجته عائشة الى الآن وقد تزوجت على التو عقب وفاته ، وأخيراً وجدها القسيس وواجهها بالجمجمة . وفى الحال امتقع وجه المرأة وعلته صفرة كصفرة الاموات ثم اعترفت بأنها هى التى قتلت زوجها وأنها منذ ذلك الحين لم تجد راحة لا بالليل ولا بالنهار .

هذا مثل مما يجريه ناموس الله فى هذه الحياة . واذا لم تفضح

---

(١) راجع دانيال ص ٥

كل الخطايا فى هذه الحياة فانها على الاقل ستفضح امام عرش الله فى ذلك اليوم الذى تكشف فيه كل خفايا القلوب

أنه لن يوجد ملجأ يحتمى فيه الخاطىء إلا جراحات المسيح. هذه هى مدن الملجأ التى لن يستطيع ولى الدم دخولها والتى فيها يجد الخاطىء الامن والسلام

على انهم فضلا عن ذلك شعروا بانهم تحت سلطان يوسف الكامل . فلم يكن أرفع منه فى كل أرض مصر سوى فرعون . كل الجيوش وكل القوات رهن اشارته . فان امر بسجن مؤبد لهؤلاء الاخوة أو امر بحجز بنيامين واطلاق سراح الباقين لما وقف أمامه اى معارض . وانه لما يزعج الخطاة ان يعلموا انهم تحت رحمة الله ديان الاحياء والاموات، وانه لا يوجد من يخلصهم من يده . وكما أن الفريسة لا تستطيع الافلات من براثن الاسد، ولا الحشرة الدنيئة من يد الانسان، كذلك لن يستطيع الخطاة الافلات من يد الله . لذلك « كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه فى الطريق . لئلا يسلمك الخصم الى القاضى ويسلمك القاضى الى الشرطى فتلقى فى السجن » مت ٥ : ٢٥

ثم انهم وجدوا أن المظاهر الخارجية ضدهم . لم يكن ثمت شك فى ان الطاس وجد فى عدل بنيامين . ومع انهم كانوا حقيقة

أبرياء من السرقة ولكن لم يكن ممكناً أن يلتمسوا لانفسهم أى عذر . لأنه ما دامت القرينة قائمة فالجريمة قائمة .

أما قيمة الطاس فى نظر الملوك والعظماء فيعرفها تماماً كل من درس التاريخ القديم . فقد كانت العقيدة الراسخة أن كل من شرب منه كشف له ما خفى من أسرار . ونحن لا نميل الى الاعتقاد بان يوسف كان يستعمله لهذا الغرض ولكنه كان يريد على ما يظهر أن يحتفظ بالشكل الخارجى للعادات المصرية .

(٢) لاحظ أيضاً سلوكهم وتصرفاتهم : أنهم « وقعوا أمامه على الارض » تك ٤٤ : ١٤ متممين بذلك أحلام صباه وهم لا يدرون . ولا بد أن يكون يوسف قد استعاد فى ذاكرته ذلك المنظر الذى رآه قديماً ، فقد تمثلت أمامه الآن حزمهم وهى تخضع أمام حزمته المنتصبة فى وسطها

ومن ذا الذى سيتقدمهم فى الكلام . كان رأوبين يميل دائماً الى تبرير نفسه، ثم انه كان واثقاً من رجوع جميع اخوته سالمين حتى انه ضمن سلامة بنيامين بحياة أولاده ، ولكننا نراه الآن صامتاً لا ينبس ببنت شفة . وشمعون الذى كان أقساهم قلباً والذى كان رئيس العصابة ضد يوسف قديماً لا يجسر الآن على النطق بأية كلمة . وبنيامين البرىء الذى يمثل ذلك الشاب الذى أحبه يسوع قد ضُبط متلبساً بالجريمة ولم يكن لديه ما ينطق به . فمن

ذا الذى يستطيع أن يتكلم إذاً . لم يكن هنالك سوى يهوذا — ذاك الذى سبق أن حول الاخوة قديماً عن مؤامرة القتل عند حافة الجب . لاحظ كلماته ، انه لا يذكر الظروف المخففة للجريمة ولا يحاول أن يذكر شيئاً عن الماضى أو يتلمس المعاذير لبنيامين أو لسائر الاخوة ، ولكنه يرتمى بكليته على رحمة يوسف « ماذا نقول لسيدى ؟ ماذا نتكلم ؟ وبماذا نتبرر ؟ »

ولا يزال هنالك درس لنا لنتعلمه . فاننا لا شك خطاة ولا شك فى أننا مجرمون فى حق أخينا الأكبر الذى القى مرة فى القبر ولكنه الآن جالس عن يمين العظمة . فان كنا نحاول أن نلطف خطايانا أو نتلمس المعاذير لانفسنا أو نشرح الماضى فنحن انما نزيد الطين بلة ، لانه عندما يواجهنا الله بخطيتنا عندئذ يستد كل فم ولا يمكننا إلا أن نصرخ قائلين « الله قد وجد اثم عبيدك » أما ان كنا نلجأ لرحمته فاننا لا نخيب

ثم ان الظروف التى نحن فيها الآن افضل جداً من الظروف التى وجد فيها هؤلاء الاخوة قديماً . فانه لم تكن لديهم اية فكرة عن رقة قلب يوسف ، ولم يبصروه عندما تحول عنهم وبكى ، وهم لم يفهموا لماذا اسرع فى الانسحاب عنهم فى احدى المرات السابقة ، وهم لم يبصروا الدموع التى انهمرت من عينيه . وعلى العكس من ذلك رأوه رجلا فظاً قاسى القلب « تكلم معنا الرجل سيد الارض

بجفاء » تك ٤٢ : ٣٠ اما نحن فأننا نعرف رقة قلب الرب يسوع وقد رأينا الدموع تنهمر من عينيه عندما اقترب من اورشليم ، وسمعنا صوته الحنون الذى به يدعونا اليه ، ووقفنا تحت صليبه وسمعنا صلاته الاخيرة من أجل قاتليه ووعده للص التائب ، ونحن ندرك عن يقين انه لا يقصف قصبة مرضوضة ولا يطفىء فتيلة مدخنة. لهذا فنحن عندما نلجأ لرحمته لا نخاف ابداً . لا داعى للتردد فى الدخول قائلين قبل ان ندخل « ان هلكت هلكت » كما قالت استير . فكل نفس تشعر بالخطية وتلجأ لرحمة الله التى فى المسيح يسوع ربنا لن تخشى الفشل او الخيبة .

اما ذلك التوسل الذى سكبه يهوذا تحت قدمى يوسف فانه يسترعى كل تأملاتنا واهتمامنا . ففيه نستطيع ان نرى بل ان نلمس شدة اهتمامه الذى جعله يجسر على الاقتراب من ذلك الوالى القاسى الذى كان له كل الحق فى أن يشتعل غضبه ، نراه وقد تمثلت أمامه صورة ذلك الوالد الشيخ الذى حرم من أحد أبنائه والتصق الآن بابنه الصغير وهو البقية الباقية من زوجته المحبوبة ، كما تمثلت أمامه مخاوف أبيه على ابنه التى لم تقو عليها الا تلك المجاعة الطاحنة التى لا تقف أمامها كل قوات العالم ؛ كما تمثلت أمامه لهفة أبيه على رجوع ابنه الذى قد تعلقت به نفسه ، كذلك ادرك شدة الحزن الذى لا بد ان يستولى على قلب ابيه حالما يرى انه لم يعد

معهم، كما خطر بباله ان يقدم نفسه ليوسف كعبد نظير اطـــلاق بنيامين مفضـــلا بالأحرى حياة العبودية عن أن يرى شيبة أبيه تنزل بحزن الى الهاوية . كل هذه تمثلت أمام عينى يهوذا فحفزته على تقديم توسلاته

ومهما بلغت تلك التوسلات والاحتجاجات التى قدمها يهوذا من القوة والبلاغة فانها لن توازى نقطة فى بحر أمام طلبات ربنا ومخلصنا يسوع المسيح التى رفعها عنا أمام العرش - وكما علت السماء عن الأرض ، وكما سمت أشعة الشمس عن أشعة القمر هكذا تسمو الشفاعة التى قدمها عنا الكاهن الأعظم عن توسلات يهوذا . فان كان شفيعنا لن يخسر قضية واحدة فانلق بانفسنا بين يديه ولنثق فيه عندما يقول « من يقبل الى لا اخرجه خارجاً » يو ٦ : ٣٧ « لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا » عب ٧ : ٢٦

وهكذا نرى أن غرض يوسف قد تحقق فانه :—

(أولاً) كان يرغب فى أن تعود اليهم حياة السلام والاستقرار ، ولكنه أدرك أن ذلك لن يمكن تحقيقه ما لم يعترفوا بخطيتهم وينالوا عنها الصفح التام . أما الآن فقد رآهم يعترفون بها .

(ثانياً) أنه كان يود أن يعرف شعورهم نحو بنيامين . واذ كان ذلك الغرض أمام عينيه أعطاه نصيباً يوازى خمسة أضعاف

نصيب كل منهم عندما كانوا على مائدته تك ٤٣ : ٣٤ ربما كان السبب فى ذلك رغبته فى اظهار محبته الخاصة لبنيامين . أو ربما كان لباعث أعمق . فهو يعرف أن بغضهم له نشأ بسبب الاحلام التى رأى نفسه فيها رئيساً عليهم ، لهذا فانه أراد أن يرى الآن شعورهم من جهة بنيامين ان كان يفضله فى المعاملة عنهم مع أنه أصغرهم. ولكنهم رغماً عن هذه المعاملة الممتازة كانوا فى شدة الرغبة أن يعود معهم .

(ثالثاً) فضلا عن ذلك فانه كان يود أن يعرف ما اذا كان لديهم روح الصفح والتسامح . كان بنيامين هو الذى جر عليهم كل هذه المتاعب الاخيرة ، فان كانوا قد تصرفوا معه بمثل تصرفاتهم السابقة لكانوا قد تركوه يلقى نصيبه . ولكنهم ان كانوا قد فعلوا ذلك لما كانوا قد نالوا الصفح من يوسف « ان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » مت ٦ : ١٥ على انهم لم يحقدوا على أخيهم ، بل بالعكس اظهروا له كل عطف ومحبة من أجل أبيهم ومن أجله هو أيضا .

اذاً فقد تحققت كل أغراض يوسف ، ومهدت كل الظروف فلم يبق هنالك ما يمنع من أن يكشف لهم تلك الحقيقة التالية .

(٣) لاحظ أخيراً اعلان يوسف نفسه لاخوته وتصالحه معهم . « فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه » تك ٤٥ : ١ كان

فى كل المدة الطويلة يبذل مجهوداً عنيفاً لكى يضبط نفسه ، لانه لو كان قد ترك لعواطفه الطبيعية لكان قد كشف لهم السر منذ زمن طويل . ولكنه ضبط نفسه حتى يدرس نفسيتهم واخلاقهم . وحالما انتهى يهوذا من مرافعته «لم يستطع يوسف أن يضبط نفسه»

ايها القارىء العزيز ! ان كنت تظن بأن مخلصنا قاس فى معاملاته ولا يقبل الخطاة الا بعد مجهود عنيف فانك خاطىء فى أوهامك ، فانه سهل فى معاملاته وقلبه يفيض رقة ومحبة . وان كان يبدو اليك بانه متغافل عنك فليس ذلك لنقص فى محبته ولكنه يضطر لذلك لكى يختبرنا ويمتحننا ويعلمنا . لا شك فى أنه كان يحب مرثا ومريم ، ولكنه تباعد عنهما يومين كاملين وظل فى مكانه هذين اليومين حتى مات لعازر ، وبعد ذلك ذهب اليهما وصنع اعظم معجزاته على باب القبر الذى فيه قد دفنت كل امال الاختين . عندما نكون فى التجربة يدعونا السيد لوليمته ويتحدث الينا حديث المحبة ومع ذلك قد يكون هنالك حجاب بيننا وبينه ، ولكن بعد أن تنتهى التجربة لا تبقى هنالك حاجة لحجب وجهه عنا بل يعلن ذاته الينا « خروجه يقين كالفجر » هو ٦ : ٣

ثم صرخ يوسف « أخرجوا كل انسان عنى » وفى ذلك استعمل منتهى الحكمة فانه لم يشأ أن يشهر باخوته ، كما أنه أراد أن يتحدث اليهم حديثاً لا يمكن أن يفهمه رجال البلاط . وفوق

ذلك فانه أراد ان يعطى اخوته فرصة ليختلوا بانفسهم . وبعد ذلك « لم يقف أحد عنده حين عرّف يوسف إخوته بنفسه » تك ٤٥ : ١

ثم « أطلق صوته بالبكاء » ع ٢ ولما سمع المصريون الصوت لم يميزوا ان كان هذا صوت الفرح أو صوت الحزن . وانى أعتقد بانه لم يكن هذا أو ذاك بل كان صوت انفجار العواطف التى كانت تغلى كالبركان فى داخله . فقد كانت عواطفه مكبوتة زمناً طويلا ، كان شديد الرغبة بان لا يخسرهم ، كما كان شديد الخوف لئلا يفشلوا فى الاختبار . عندما كان يرقبهم عن بُعد قبل الرحيل ربما يكون قد وبخ نفسه لسماحه لهم بالانطلاق . وهكذا كان عقله دائم التفكير فيهم . أما الآن وقد أصبح لا داعى للمجهود الذى كان يبذله لضبط نفسه فقد أطلق صوته بالبكاء .

أيها الخطاة اعلموا أن قلب يسوع دائم التفكير فيكم

وأخيراً قال لهم «أنا يوسف» ومع انه قال ذلك بصوت متهدج إلا أن الكلمات نزلت عليهم كالصاعقة . « يوسف » ؟ أكانوا كل تلك المدة الطويلة بين يدى أخيهم الذى فقدوه منذ عشرين عاماً ؟ « يوسف » ؟ إذن لقد وقعوا فى الفخ لا محالة . «يوسف» ؟ أيمكن أن يُصدق هذا ؟ نعم ! ولا يمكن إلا أن يكون هو حقاً فان ذلك يفسر لهم كثيراً من الالغاز التى اربكتهم .

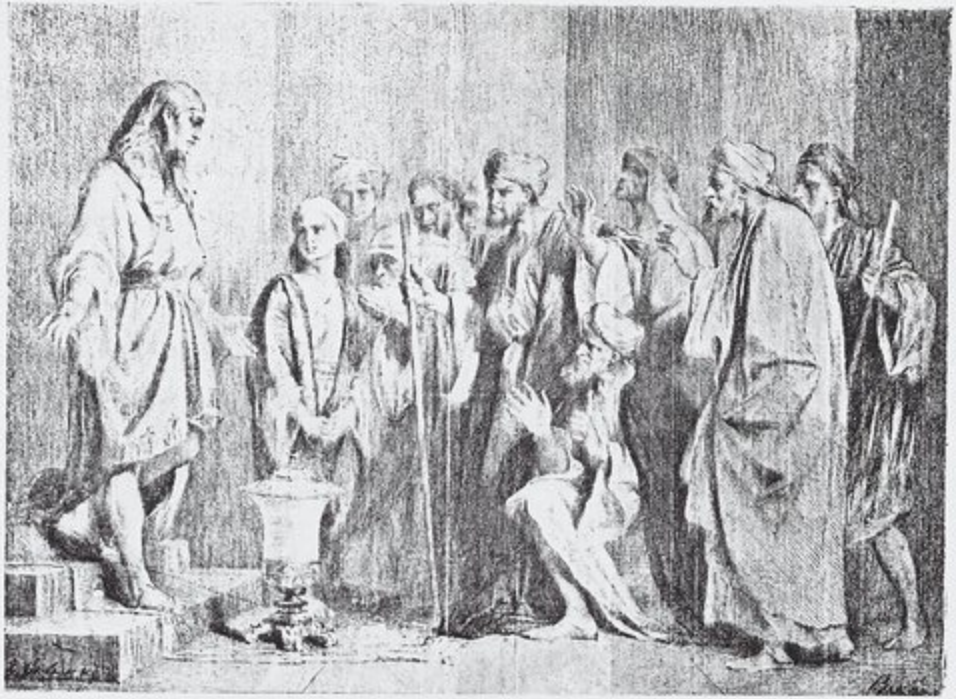

انا يوسف اخوكم

كان طبيعياً ان يسودهم الرعب والخوف . لقد أخذتهم الدهشة اذ رأوا اخاهم قام من بين الاموات ، ولقد خلع قلوبهم الخوف بسبب ما ترقبوه من النتائج ، فانهم كانوا يخشون لئلا يسترد منهم الآن ذلك الدين القديم . كل هذه العوامل عقدت السنتهم فلم يستطيعوا ان يجيبوه . لذلك قال لهم ثانية « انا يوسف اخوكم الذى بعتموه الى مصر » وبعد ذلك اضاف هذه الكلمات التى تنم عن عمق محبته : « والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا . . . لانه لاستبقاء حياة ارسلنى الله قدامكم »

ويذكرنا هذا المنظر بمنظر آخر مشابه لهذا تماماً ، هو تلك الحادثة التى حصلت على ابواب دمشق عندما اوقف يسوع ذلك الشاب مضطهد المسيحية بهذه الكلمات « شاول لماذا تضطهدنى » فقال له « من انت يا رب » فاجابه « انا يسوع الذى انت تضطهده »

ايها الخاطىء ! بنفس هذه الكلمات يتحدث اليك المخلص قائلا « انا يسوع اخوك ، الذى قد بعته وصلبته . ولكن لا تتأسف ، فانى قد أسلمت بناء على مشورة الله المحتومة وعلمه السابق ولو كانت الايدى التى صلبتنى مجرمة اثيمة . ولكنك ان كنت تتوب تمح خطاياك « فكل خطية وكل تجديف يغفر للناس »

ثم « قال يوسف لأخوته تقدموا الىّ » كانوا قد تباعدوا عنه ، أما الآن فانه يأمرهم بالاقتراب منه . وهذا تشبيه جميل لما

يفعله الله مع الخطاة لكي يقربهم اليه. فانه لا يضعنا مدة تحت الاختبار كلا ! فلا حاجة للوقوف بعيداً لانه يدعونا لحياة الشركة السرية والصلة الكاملة به . إن كانت خطايانا قد أبعدتنا عنه فان دم المسيح يقربنا اليه . وإن كنا نسلك طريق التوبة الوعر فى لحظة ففى اللحظة التالية مباشرة نحظى بمحبة الأب وقبلاته ونحظى بالجلوس معه فى الوليمة السماوية .

وبعد لحظة أخرى رأينا يوسف قد « وقع على عنق بنيامين وبكى . وبكى بنيامين على عنقه » ع ١٤ وانسابت الدموع من عينيهما . ثم « قبّل جميع إخوته » ع ١٥ شمعون ؟ نعم . رأوبين ؟ نعم . أولئك الذين قيدوا يديه ولم يبالوا بصراخه ؟ نعم . أنه قبلهم جميعاً . وبعد ذلك تحدثوا اليه .

نعم سيأتى اليوم الذى يتم فيه هذا أيضاً . أن اليهود يتقاطرون الآن الى فلسطين ؛ وهنالك تنتظرهم الضيقات والمتاعب الشديدة لكى تعدهم للاعتراف بمسيا الذى رفضوه . ونحن نرجو أن يأتى قريباً ذلك اليوم الذى فيه يسمعونه قائلا لهم « أنا يسوع أخوكم الذى صلبتموه، والان لا تتأسفوا ولا تغتاظوا ، لان الله أخرج من الشر خيراً لكل من اليهود والأمم اذ صنع لهم خلاصاً عظيماً » وحينئذ « ينظرون الى الذى طعنوه وينوحون عليه » زك ١٢ : ١٠

« وهكذا سيخلص جميع إسرائيل » رو ١١ : ٢٦

الفصل العاشر

خدمة يوسف فى مصر

(تك ٤٧)

بينما كانت تلك الامور التى تأملناها فى الفصول الاخيرة تجرى مجراها كان يوسف يقود المملكة المصرية فى تلك الازمة الطاحنة . وهو عندما اعتلى كرسى الرئاسة كان عرش فرعون ضعيفاً ، ولكن بعد أن قاد البلاد نحو ثلاثة عشر عاماً أصبح فرعون مالكاً لكل أرض مصر . وبذلك تقوى العرش بفضل خبرة وحكمة ذلك الشاب العبرانى .

وفى خلال سنى الشبع السبع أمر يوسف بأن يخزن خمس محصول كل منطقة فى دائرتها ، وبذلك تتوفر فى كل مدينة المؤونة التى تلزمها وقت الحاجة

وأخيراً جاءت المجاعة ، وياله من هول تلك المجاعة « ولم يكن خبز فى كل الارض لان الجوع كان شديداً جداً . فخوّرت أرض

مصر وأرض كنعان من أجل الجوع » ع ١٣ ولا شك انه لو لم يكن يوسف قد احتاط لهذه المجاعة بما خزنه من مؤونة لكانت البلاد قد اقفرت فامتلأت الشوارع من جثث البشر — رجالا ونساء وأطفالا ، وكان لا بد ان يمر زمن طويل حتى تستعيد البلاد حالتها الاولى

وسرعان ما بدأت مخازن الاهالى تفرغ ، ولما اشتد الجوع هرع الجميع الى فرعون طالبين منه القوت الضرورى ، فكان فرعون يقول لهم « اذهبوا الى يوسف . والذى يقول لكم افعلوا » تك ٤١ : ٥٥ حينئذ « فتح يوسف جميع ما فيه طعام وباع للمصريين » ع ٥٦ فكان هذا حقاً وعدلا كما دل على حكمة ممتازة لانه لم يكن من العدل أن يبيعهم قمحاً — بلا ثمن — لان فى ذلك افساداً لروح الشعب المعنوية ومضيعة لنشاطهم اذ كان لا بد ان يحصلوا على قوتهم بعرق جبينهم . وان ما فعله يوسف لمطابق تمام المطابقة لأسمى قواعد علم الاقتصاد السياسى الحديث

على ان المال سرعان ما نفد اذ لم يكف سوى سنة واحدة . فماذا يفعل حينئذ . لم يبق هنالك سوى الاشخاص والاراضى ؛ وهذه يعز على النفس بيعها . ولكن لم تكن هنالك وسيلة اخرى امامهم لذلك جاءوا الى يوسف اخيراً قائلين « لماذا نموت امام عينيك ... اشترنا وارضنا بالخبز » تك ٤٧ : ١٩ . وبمعنى آخر انهم اصبحوا

فلاحين لفرعون وكانوا يدفعون له خمس المحصول كايجار للأرض ع ٢٤ ـ ٢٦ وهذه قيمة معقولة جداً

(١) والآن لنتأمل فى الروح الذى ساد يوسف أثناء خدمته . انه يلخص فى ثلاث عبارات مختصرة . فانه كان « مجتهداً فى عمله، حاراً فى الروح ، عابد الرب » ام ٢٢ : ٢٩ ، رو ١٢ : ١١

(اولا) اما عن اجتهاده فى عمله فلدينا الادلة الكثيرة على ذلك. فانه فى بداية الامر عندما اعتلى منصبه الرفيع « اجتاز فى كل ارض مصر » تك ٤١ : ٤٦ ليتفقد شئون بناء المخازن ثم تخزين القمح . وعندما حلت المجاعة كان القمح يباع تحت اشرافه . ويظهر ان كل العبء فيما يختص بالترتيبات التى عملت أثناء المجاعة كان ملقى على عاتقه وحده لان فرعون نفض يده من هذه العملية اذ كان يقول دواماً « اذهبوا الى يوسف » . فيوسف هو الذى جمع كل ثروة البلاد ، ويوسف هو الذى اشترى كل أرض مصر لفرعون ، ويوسف هو الذى باشر عملية توزيع العمال فى كل البلاد لبيع القمح ، ويوسف هو الذى وضع التعليمات واللوائح التى تتبع لادارة البلاد أثناء المجاعة . « رأيت رجلا مجتهداً فى عمله . أمام الملوك يقف ، لا يقف أمام الرعاع ، ام ٢٢ : ٢٩

ايها الشبان ! ليكن يوسف مثالا لكم فى الجد والنشاط . تمموا عملكم ـــ مهما كان وضيعاً ـــ بكل ما أوتيتم من قوة

واقتدار . وحذار من أن تتشبهوا باولئك الذين يعملون عملهم برخاء وبلادة وكسل

وها كم بعض القواعد لمراعاتها فى اتمام أعمالكم ، وهى وان كانت بسيطة الا انها جوهرية :

١ — انتفعوا بكل أوقاتكم . فان جميع الاشخاص الذين كانوا أوفر حظا فى النجاح فى الحياة هم الذين تعلموا كيف ينتفعون من كل دقيقة فى أوقاتهم حتى أوقات الفراغ

٢ — تعودوا المحافظة على المواعيد . فان ارذل ما يتصف به المرء هو عدم المحافظة على المواعيد . وكثيراً ما كانت هذه الرذيلة سبباً فى ضياع فرص عديدة

٣ — راعوا الدقة والنظام فى عملكم . رتبوا عملكم اليوم وتمموه بمنتهى الدقة ، واخضعوا دواماً لارادة الله التى يعلنها لكم اثناء تأدية عملكم

٤ — كونوا سريعين فان طُلب منكم تأدية عمل تمموه بسرعة تشعرون بلذة الراحة بعد اتمامه .

٥ — كونوا نشطين . سأل مرة أحد الشبان رجلا متقدماً فى السن ، حنكته التجارب ، أن يدله على أحسن شعار يتخذه فى عمله فأجابه الشيخ : لا يوجد شعار للشبان يابنى أفضل من

كلمات الحكيم « كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك »
جا ٩ : ١٠

(ثانياً) على أن يوسف كان أيضاً « حاراً فى الروح » فقد قال عنه أبوه « يوسف غصن شجرة مثمرة على عين. أغصان قد ارتفعت فوق حائط » تك ٤٩ : ٢٢ انه يكاد يكون مستحيلا أن ندرك كل جمال هذا التشبيه البديع. هنالك غرست الشجرة فى أرض ناشفة ، فلا ينتظر ان تورق أغصانها وبالأحرى لا ينتظر أن تثمر . ولكنك فجأة رأيت اغصانها مورقة وقد ارتفعت فوق حائط محملة بعناقيد العنب. لماذا ؟ لان عيناً عميقة فى اسفل الشجرة وقد امتدت اليها جذورها فارتوت منها . هكذا كانت حياة يوسف التى تقضت فى أرض ناشفة فأنه لم يجد فى مصر ما يغذى حياته الروحية ، ولكنه رغما عن ذلك قد أعطت حياته ثماراً ابهجت الانسان وأرضت الله . فقد امتلأت حياته بل فاضت محبة ، فرحاً ، سلاماً ، طول أناة ، وداعة ، صلاحاً . ولا شك فى ان كل ذلك تم له لانه كان « حاراً فى الروح »

قيل عن احد الوزراء العظام انه كان فى فجر حياته راعياً للغنم . ولما وصل الى مركزه الرفيع خصص غرفة فى قصره لاستعماله الشخصى ولم يكن مسموحاً لاى شخص آخر الدخول اليها . فى هذه الغرفة اودع اثاث بيته المتواضع الاول وكل عدته التى كان يستعملها فى حياته الاولى فى رعاية الغنم . وفى كل يوم كان يدخل

هـذه الغرفة ليتأمل فيما كان عليه بالامس وفيما وصل اليه اليوم . ولا شك انه كانت ليوسف غرفة خاصة فى قصره يقضى فيهـا الساعات كل اسبوع ، بل كل يوم ، فى مناجاة إله آبائه الذى اليه يعزى كل الفضل فيما وصل اليه

فليت رجال الاعمال فينا يكونون « حارين فى الروح » . اذ اننا نراهم اليوم يعطون زبدة اوقاتهم لدفاترهم واوراقهم ولكنهم لا يعطون وقتـاً لكتابهم المقدس ، يعطون اوقاتاً طويلة للقهـاوى والمنتديات ولكنهم لا يخصصون وقتاً للكنيسة . يقضون الساعات فى التحدث مع أصدقائهم ولا يجدون الدقائق للتحدث مع الله . لهذا فان حياتهم سرعان ما تذبل ، وهم فى هـذه الحال كيف يستطيعون ان يغذوا النفوس الكثيرة التى تحتك بهم والتى تطلب المعونة ، لانه أنى للنفس الجائعة ان تشبع نفساً جائعة . ان حياتنا لا يمكن ان تعطى ثمراً بمجهودها الشخصى . ولكن بهذا فقط يمكن ان تثمر الحياة ـ عندما تمد جذورها الى العين . لهذا يجب ان نقضى الاوقات الطويلة فى الصلاة الانفرادية ودرس كلمة الله . وعندئذ فقط تورق الشجرة وتحمل بالثمار اليانعة .

لا تتوهم بانه يستحيل عليك ان تكون « حاراً فى الروح » وانت تقضى معظم وقتك فى أعمالك العالمية . فان ذلك لم يكن

مستحيلا على يوسف ، وهو لا يمكن ان يكون مستحيلا على أى شخص يسلك بحسب قانون الكتاب .

انه لا يكفى أن تشعل النار بل يجب أن تغذيها . لهذا فكم من النفوس قد فترت حياتها الروحية تدريجياً بسبب الاهمال والتوانى فى العبادة والصلاة ، وبذلك انطفأت جذوة النار التى اشتعلت فيها قديماً . هاكم هى « عين » أو « بئر » كلمة الله ، اقتربوا اليها واسمحوا للجذور بأن تتعمق اليها ، استقوا منها بواسطة درس الكلمة كل يوم . وبذلك تستطيعون أن تقفوا أمام العوامل الكثيرة التى تحاول أن تطفىء غيرتكم وتفت فى عضدكم .

(ثالثاً) على أن يوسف كان أيضاً « عابد الرب » فقد كان الرب دواماً فى فكره وفى قلبه ، وكان شعاره « أننى أخاف الرب » وكان الفكر السائد على عقله « ليس أنتم أرسلتمونى الى هنا بل الله . وهو قد جعلنى . . . . متسلطاً على كل أرض مصر » تك ٤٥ : ٨ وهو فى هذا القول يوضح عقيدته بانه كان مديناً لله بكل ما لديه .

ألسنا حقاً فى حاجة الى الرابطة التى بها نستطيع أن نوفق بين أعمالنا اليومية ومبادئنا الدينية . انه لمن المؤلم أن نرى الكثيرين يلبسون فى محال أعمالهم لباساً خاصاً واذا ما توجهوا الى الكنيسة يغيرون مظهرهم . فلكى نظهر دوماً فى حالة واحدة يجب أن يكون

الفكر الذى يسودنا هو أننا نعيش فى هـذه الحياة تحت سلطان المسيح الذى يجب طاعته فى كل شىء . فان كان هنالك أى شىء فى حياتك — عادة أو سلوك أو لباس — لا يرضى المسيح فيجب الابتعاد عنه . وما اجمل ما قاله الرسول فى هذا الصدد لفقراء جيله الذين البسهم شرفاً جـديداً عندما خاطبهم قائلا « كعبيد المسيح . خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس » اف ٦ : ٦ و ٧ من أجل هذا لا تتذمر ان كان عملك وضيعاً بل تممه على الوجه الاكمل « كما للرب »

أن العالم مملوء بالخدام الغير أمناء ، ومع ذلك فاذا وبختهم سمعت منهم أمثال هذه الاجابات: أن الأجر الذى اتقاضاه ضئيل ، أن سيدى أو رئيسى لا يعنى بأمرى العناية الواجبة ، أننى أعامل كعبد ، سأترك عملى فى أقرب فرصة . لكن قف قليلا يا صاح . فمن ذا الذى أتى بك الى هذا المكان ؟ هل للمسيح دخل فى وجودك فى هذا العمل ؟ ان كان الجواب سلباً فكيف جرأت على مخالفة ارادته ؟ وان كانت ارادة الله أن تبقى فى مركزك فكيف تفكر فى تركه قبل أن تثق من انه يريدك أن تتركه ؟

ثم من جهة العمل نفسه : ما هو الباعث الذى يحركك لاتمامه ؟ هل للحصول على الأجر أو الشكر أو لمجرد العادة ؟ أم أنت تعمل كما للرب ؟ اذاً فابذل قصارى جهدك لارضائه ، واعلم بأن كل

غرفة تدخلها انما هى غرفة فى هيكله المقدس ، وكل انية تلمسها انما هى احدى أوانى مقدسه ، وكل حركة تتحركها يرقبها الله باهتمام كما التفت الى سكب قارورة الطيب . واكتب على كل قطعة من عملك « مكرس ليسوع المسيح » . كل هذا يسطع على العمل نوراً جديداً ويجعل للحياة معنى جديداً .

ويجب أن لا ننسى أن ارادة الرب هى أن يجعل الحياة كلها فى مستوى واحد وان كان كل فرد انما يعمل لكى يتمم مطالب الحياة . « لان من دعى فى الرب وهو عبد فهو عتيق الرب . كذلك ايضاً الحر المدعو هو عبد للمسيح » ١ كو٧ : ٢٢ وطالما كان المسيح هو الرأس وهو الرب ، فلا بد أن تنال الحياة وحدتها الحقيقية

(٢) ثم لنتأمل فى اعتراف المصريين « فقالوا أحييتنا » تك٤٧ : ٢٥ لقد سكب الرب على يوسف من فيض الحكمة والذكاء وبعد النظر فاستطاع أن يصنع ذلك الخلاص العظيم . وكم من أشخاص قد وهبهم الرب هذه الصفات فاستطاعوا أن يخلصوا الكثيرين ، وأن يقدموا للعالم أجل الخدمات فى شتى النواحى .

على ان هنالك ما هو اسمى من هذا . فاننى اذ ارى جمهور المصريين يزدحمون حول يوسف بهذه الكلمات فى افواههم اتذكر

ذاك الذى كان يرمز اليه يوسف . فكما أصعد يوسف من الجب ليهب خبزاً لاخوته الذين رفضوه ولأمة وثنية ، كذلك قام يسوع من ظلمة القبر ليهب خلاصاً لاخوته اليهود وللملايين البشر من العالم الوثنى . وانى عن بُعد أسمع صوت ربوات المؤمنين وهم يخرون أمام العرش قائلين قد « أحييتنا » أو « خلصتنا » .

لقد لقب المصريون يوسف « مخلص العالم » ولكن هيهات بين هذا الخلاص وذاك الذى أتمه يسوع . فيوسف خلص مصر بحكمته ، اما يسوع فخلصنا ببذل حياته . وخبز يوسف لم يكلفه شيئاً أما الخبز الذى يعطيه يسوع فكلفه الجلجثة . لقد كوفىء يوسف بالمال والمواشى والأراضى ، أما يسوع فانه يأخذ بضاعته لسوق الفقراء ويبيعهم بلا ثمن ولا فضة . أنه يسد كل أعوازنا تحت شرط واحد هو أنه يقدمها الينا مجاناً لأننا ان قدمنا اليه ثمناً خسرنا كل شىء ، أما ان تقدمنا اليه بلا فضة ولا ذهب أفاض علينا بركاته ، لانه « يشبع الجياع خيرات ويصرف الاغنياء خارغين » لو ١ : ٥٣ « طوبى للمساكين .... لان لهم ملكوت السموات » مت ٥ : ٣

(٣) وأخيراً لنتأمل فيما اعتزمه هؤلاء المصريون . « فقالوا أحييتنا . ليتنا نجد نعمة فى عينى سيدى فنكون عبيداً لفرعون » ،

تك ٤٧ : ٢٥ وهل نجد باعثاً لتكريس حياتنا لخلاصنا أكثر من هذا ، لانه ان كان قد خلصنا فهل كثير أن نكون له عبيداً .

هنالك بواعث عدة تدعونا لقبول نير المسيح :

١ — فان فيه شرفاً رفيعاً . وأى شرف أعظم من أن نكون خداماً للمسيح « اننى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع » غل ٦ : ١٧

٢ — وفيه سعادة لا تقدر . فهو الحرية الكاملة ، وان كنت أنال الحرية من المسيح فلست أبالى بكل صعوبات الحياة ، وطاعة المسيح معناها التمتع بحرية مجد أولاد الله .

٣ — وفوق كل هـذه البواعث يوجد باعث أقوى وهو : ان كان المسيح قد خلصك فهلا تخدمه ؟ ان قبلت الدعوة فهاك هى الخطوات التى يجب أن تسلك فيها بعد ذلك مباشرة :

(أولاً) يجب أن تعلم أن يسوع قـد اشتراك لتكون ضمن خاصته وذلك بسفك دمه فداء عنك وباعطاء جسده حياة لك ولكل العالم

(ثانياً) ثم قدم ذاتك بكليتك اليه قائلا بكل اتضاع ومحبة وثقة : اننى أقدم لك الآن يا ربى نفسى وروحى وجسدى ذبيحة حية مقدسة مرضية . واعلم بأنك منذ هذه اللحظة لست ملكاً

لنفسك بل ملكاً له ، وانه انما يستلم منك فى الحال ما تسلمه اليه . فاتخذ يسوع لك مخلصاً وصديقاً ورباً كل لحظة من لحظات الحياة وقدم له طاعة كاملة فى كل ظرف من ظروف الحياة . وعندما يغويك المجرب لتتركه ردد تلك الكلمات التى كان يقولها العبد العبرانى قديماً انى « احب سيدى . . . لا أخرج حراً . . . » خر ٢١ : ٥

ألا يستحق الرب منك ذلك بعد أن اتضع فى مذود بيت لحم من أجلك ، وبعد أن عاش فى هذا العالم فقيراً وبلا مكان يسند فيه رأسه من أجلك ، وبعد أن تساقطت قطرات الدماء من جبينه وسكب للموت نفسه من أجلك ، وبعد أن ارتفع الى السماء وجلس عن يمين العظمة يتشفع من أجلك ؟

« فاطلب اليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية » رو ١٢ : ١

الفصل الحادى عشر

والد يوسف

(تك ٤٧ : ١ - ١١)

تقاس الحياة بالأعمال لا بالسنين
وبالأفكار لا بالنسمات
وبالمشاعر لا بعدد الساعات
فمن سمت أفكاره
ورقت مشاعره
ونبلت أعماله
كانت حياته هى الأطول

كثيراً ما قادنا أعجابنا ببعض الاشخاص الى التساؤل عن آبائهم وأمهاتهم . ويقرر لنا التاريخ أن وراء أغلب العظماء آباء أفاضل وأمهات فضليات . لهذا فلا عجب ان كنا نجد فى الكتاب

المقدس ما يشبع هذه الغريزة — غريزة حب الأستطلاع — من هذه الناحية خصوصاً فى حادثة يوسف . وفيها نستطيع أن نتطلع فيما وراء الستار لنتأمل فى العلاقة التى بينه وبين والده الشيخ — يعقوب .

(١) محبة يوسف البنوية التى لم تنقص . لا شك فى أن محبة يوسف لأبيه قد اضطرمت فى قلبه منذ اللحظة الاولى التى رأى فيها أخوته وسط الجموع الحاشدة فى سوق القمح . ولم يدرك هؤلاء الأخوة أن يوسف كان متلهفاً ليعرف ان كان أبوه لا يزال حياً ، كما أنهم لم يدركوا هزة الفرح التى حركت قلبه عندما تصيد منهم هذه الكلمة : « هوذا الصغير عند أبينا اليوم » تك ٤٢ : ١٣

وعندما اتى اليه اخوته للمرة الثانية لا بد أن يكونوا قد تملكتهم الدهشة عندما لاحظوه يسأل برقة وعطف عن سلامتهم ويقول لهم « أسالم أبوكم الشيخ الذى قلتم عنه . أحى هو بعد ؟ » تك ٤٣ : ٢٧ أما يهوذا فكان يجهل تماماً أنه كان يضرب على الوتر الحساس عندما ذكر والده مراراً وتكراراً فى حديثه معه . ولا شك فى أن تلك الاشارات المتكررة التى ذكرها عن والده هى التى حركت عواطفه وأثارت شجونه حتى أنه « لم يستطع أن يضبط نفسه » ولهذا فان أول ما سأل عنه بعد أن عرفهم بنفسه هو هذا السؤال « أحى أبى بعد ؟ » تك ٤٥ : ٣ وبعد تأكده من سلامة

أبيه نراه فى عواطفه المهتاجة تنساب منه بعض العبارات التى تبين تعلق نفسه بأبيه « أسرعوا واصعدوا إلى أبى وقولوا له هكذا يقول ابنك يوسف . قد جعلنى الله سيداً لكل مصر . أنزل الىّ . لا تقف ... وتخبرون أبى بكل مجدى فى مصر وبكل ما رأيتم . وتستعجلون وتنزلون بابى الى هنا » تك ٤٥ : ٩ و١٣

ولا مشاحة فى أن الايام والشهور التى انقضت وهو فى انتظار أبيه قد سببت له كثيراً من القلق والاضطراب ، وعند ما سمع أن أباه الشيخ وصل أخيراً الى حدود مصر على احدى المركبات التى أرسلها اليه « شد مركبته وصعد لاستقبال اسرائيل أبيه » تك ٤٦ : ٢٩

وبالعظمة ذلك الاستقبال . مهما كان السفر قد أضنى ذلك الشيخ فلا بد أن يكون قد استعاد قواه عندما سمع القوم يقولون له « ان يوسف قادم » ويخيل الىّ بانه نزل عن مركبته وبدأ يحدق ببصره الضعيف فيبصر جماعة قادمة ومن وسطها يبزغ تاج هذه الجماعة فيركض اليه واذا به قد «وقع على عنقه وبكى على عنقه زماناً » وبعد أن تفرس فيه من هامة رأسه الى أخمص قدمه بكل حبور ومسرة قال « أموت الآن بعد ما رأيت وجهك انك حى بعد » . ولست أدرى ماذا كان شعوره عندما تذكر تأوهاته السابقة التى قال فى احداها « صار كل هذا علىّ » تك ٤٢ : ٣٦

على أن محبة يوسف لم تقف عند هذا الحد ، فانه أحبه حباً مفرطاً فلم يستح به . عندما علم فرعون بوصول أبيه واخوته سر سروراً عظيماً وطلب من يوسف أن يرتب كل ما فيه راحتهم « أرض مصر قدامك . فى أفضل الارض أسكن اباك واخوتك ليسكنوا فى ارض جاسان . وان علمت انه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواش على التى لى » تك ٤٧ : ٦ وبعد ذلك احضر يوسف أباه امام فرعون

ونحن لا يسعنا إلا ان نذكر بالأعجاب الشديد صراحة يوسف التى ظهرت فى تقديم ابيه لذلك الملك العظيم الذى لا يتصل به إلا أعاظم الرجال فى العالم . فقد كانت هنالك هوة اجتماعية عظيمة أثبتت بين مصر وكنعان ، فما أعظم الفرق بين القصور والخيام ، ثم بين الملك والراعى .

ولو لم يكن يوسف يحمل بين جنبيه تلك النفس النبيلة لكان قد تردد فى أن يجمع بين النقيضين ، أو كان قد خشى من إظهار أصله الوضيع ، أو كان قد استحى بأقاربه الذين قد حضروا ليكونوا عالة على البلاد . ولكن شيئا من ذلك لم يحصل ، وكل هذه الأفكار قد انتفت من مخيلته لأنه كان ينظر الى ذلك الشيخ المسن الغريب بأنه أبوه .

وما أشد حاجة ابناء هذا الجيل لتعلم هذا الدرس الثمين .

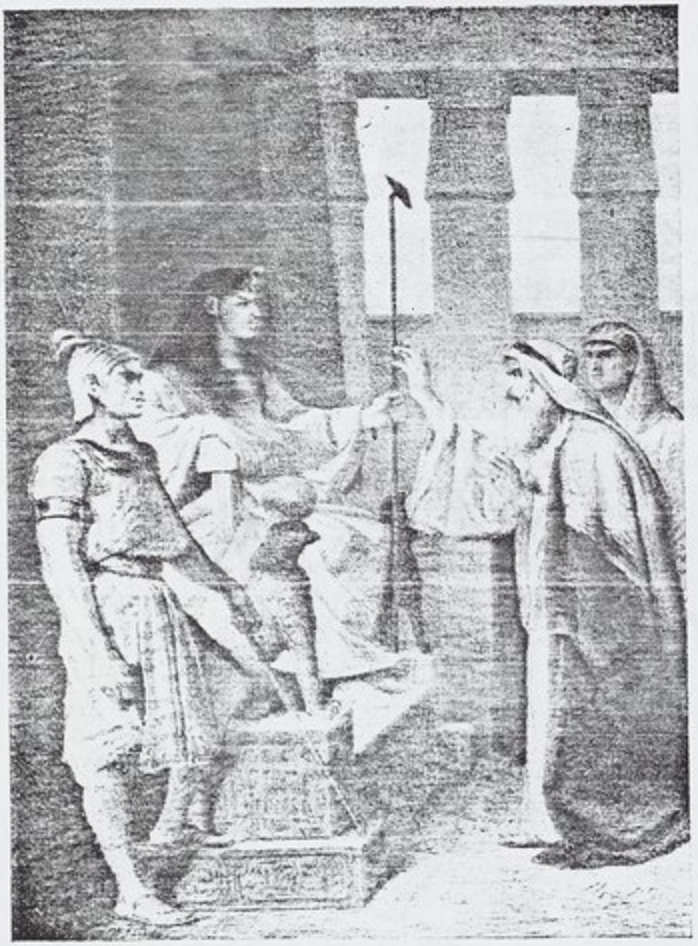

يوسف يقدم اباه لفرعون

فكثيراً ما نرى الشبان اليوم حالما يستطيعون أن يرتزقوا يتجاهلون والديهم الفقراء ، وكأنهم قد نسوا المتاعب الجمة التى تكبدوها فى تربيتهم وتعليمهم وسهرهم الطويل والارتباكات والاضطرابات التى تحملوها أثناء مرضهم

والأدهى من ذلك أنك ترى بعض الشبان ... وقد انتقلوا من حالة الفقر الى حالة الغنى والثراء واليسار ، يتناسون والديهم . تراهم يعيشون فى رغد من العيش ، يسكنون القصور ، يرسلون أولادهم لأرقى المدارس ، يحيط بهم الخدم والحشم ، أما والدوهم فقد يهملونهم قطعياً أو قد يعولونهم فى مكان متواضع قصى لأنهم يريدون أن يبعدوهم عن عائلتهم أو عن أنظار أصدقائهم لشدة استحيائهم بهم . وانى بصراحة أقرر هنا بأن الشخص الذى يتصرف هذا التصرف كثيراً ما تبدو فى فعاله أو اقواله ما يحقره فى نظر أصدقائه أو أقاربه الجدد أكثر مما يسبب له مجرد المظهر الخارجى لوالديه الفقيرين من هزء وعار . كما أننى بكل صراحة أقرر بأننى أفضل يوسف الذى افتخر بأن يقدم أباه الى فرعون عن فرعون نفسه

ايها الشبان ! اكرموا والديكم ، احسنوا معاملتهم ، افتخروا بانتسابكم اليهم . قد يكون لهم ضعفاتهم او نقائصهم ولكن ليس

من العدل ان تفكروا فى هذه ، بل افتخروا بمحاسنهم . تشبهوا بابنى نوح اللذين غطيا خجل ابيهما .

(٢) سؤال فرعون . « كم هى ايام سنى حياتك » تك ٤٧ : ٨. كان هذا اول سؤال سأله فرعون بمجرد دخوله عليه . ويظهر ان ما دعاه الى هذا السؤال هو هيئة يعقوب اذ كان قد تقدم فى الايام وانحنى ظهره . وهذا السؤال طالما جرى على افواهنا ، ولكنه مقياس سيء لتقدير قيمة الحياة ، لان الحياة لا تقاس بعدد الايام بل بكيفية صرف تلك الايام .

تقاس الحياة بالاعمال لا بالسنين
و بالافكار لا بالنسمات
وبالمشاعر لا بعدد الساعات

يعيش البعض سنوات طويلة ولكنهم يقدمون فى النهاية قليلا وقد لا يقدمون شيئاً . فاذا أخرجت الساعات التى قضيت فى البطالة والكسل ، فى الشر والانغماس فى الرذيلة ، لما تبقى سوى ساعات قليلة وهذه هى ساعات الحياة الحقيقية . وعلى هذا القياس قد تجد شخصاً بلغ السبعين من عمره ولكن حياته الحقيقية تقدر بستة شهور فقط

ويعيش البعض سنوات قليلة ولكنهم قد ملأوها بحياة شريفة

حليئة بجلائل الاعمال ، عرفوا كيف ينظمون اعمالهم ، يحافظون على المواعيد ، يفتدون الوقت . وفى النهاية يستطيع هؤلاء ان يقدموا كثيراً ، فكم من كتاب قرأوه ، كم من خدمات أتموها ، كم من اشخاص بنوا حياتهم ، كم من اخلاق قوموها . هؤلاء تعد حياتهم طويلة . قد لا تتجاوز حياة الواحد منهم الثلاثين ولكنه أتم فيها ما يتمه الآخرون فى الستين او يزيد

وهل لى الآن ان اسأل كل واحد من القراء « كم هى ايام سنى حياتك »

« كم هى ايام سنى حياتك » هل انت فى السابعة عشر ؟ هذا هو سن الخطورة ، هـــذا هو السن الذى فيه تبنى حياتك ، فكما تكون حياتك الآن ستكون كذلك فى الاعوام التالية . انك الآن على وشك الخروج من مكمنك لتواجه مخاطر الحياة . احذر من كل ما ينتظرك من خداع ومخاتلة . سلم زمام حياتك للمسيح تأمن كل شرور ومخاطر الحياة . لا تقبل فى السفينة إلا كل من يختارهم ربان السفينة .

« كم هى أيام سنى حياتك » هل أنت فى الحادية والعشرين ؟ هذا هو سن الرشد الذى يكون فيه المرء فى غنى عن كل انسان . ولـكن لا تنس انه يوجد على الاقل واحد لا يمكنك أن تكون فى غنى عنه . قـد تتمرد عليه وتذهب الى كورة بعيدة وتبذر مالك

وماله فى عيش مسرف ، ولكنك لا بد عائد اليه فى النهاية . فيا أيها الابن الضال عد الى أبيك فانه لن توجد راحة حقيقية ولا شبع ولا رى بعيداً عنه

« كم هى أيام سنى حياتك » . هل أنت فى الثلاثين ؟ اعلم انه فى هـذا السن تقدم الرب يسوع الى خدمته العلنية ، وفى نفس الوقت أرجو أن تذكر ان الكثيرين من العظماء ـ فى نواحى الحياة المختلفة ـ قد عاشوا حياة مليئة بخير الاعمال ثم ماتوا قبل ان يدركوا هذا السن . فماذا أنت فاعل فى هذه الحياة ؟ تعال واسرع فان زهرة الحياة قريبة من الذبول . احذر لئلا تضطر ان تقول فى نهاية الحياة « لقد انفقت حياتى فى الاباطيل التى لا تفيد »

ولكنك ان كنت تسلم حياتك للرب يسوع طالباً منه أن يعينك على اتمام مسرة مشيئته فلن تضطر لهذا القول

« كم هى أيام سنى حياتك » . هل أنت فى الاربعين ؟ تيقظ ! فقلما استطاع المرء تغيير حياته فى هذا السن الذى تبدأ فيه الحياة فى الانحلال . ان كنت للآن لم تسلم الحياة للمسيح فان الفرصة تتضاءل كل اسبوع

« كم هى ايام سنى حياتك » هل انت فى الخمسين او الستين او السبعين ؟ لقد بدأ المشيب يخط شعر رأسك ، وبدأت القوى تنحل ، وكل ما حولك ينذرك بانك على ابواب وادى ظل الموت

بظلامه الدامس . فكيف انت مزمع ان تستقبله ؟ هل يستولى عليك الذعر والخوف من الآن ام انت واثق انك ستستقبله بشجاعة المطمئن كما فعل ذلك السجين قديماً الذى قال عندما حضر وقت انحلاله « جاهدت الجهاد الحسن ، اكملت السعى ، حفظت الايمان ، وأخيراً وضع لى اكليل البر » . أيها الشيوخ ! ان عيوننا تشخص اليكم اذ نحن نرجو أن تتعلم منكم كيف ننتظر نهاية الحياة وكيف نموت .

(٣) جواب يعقوب : « فقال يعقوب لفرعون . أيام سنى غربتى مئة وثلاثون سنة : قليلة وردية كانت أيام سنى حياتى ، ولم تبلغ الى أيام سنى حياة آبائى فى أيام غربتهم » تك ٤٧ : ٩ كانت أيام سنى حياته « قليلة » بالنسبة لاعمار آبائه ، فان تارح عاش ٢٠٥ سنة ، وابراهيم ١٧٥ سنة ، واسحق ١٨٠ سنة ، أما كل ما عاشه يعقوب فقد بلغ ١٤٧ عاماً

ثم انها كانت « ردية » .. فانه فى شبابه نزع عن الاحضان الابوية وعن اصدقائه الاعزاء وأبعد عن وطنه المحبوب وذهب الى ارض غريبة لكى يقضى فيها اخر ايام الحياة . اما خدمته لخاله لابان فقد كانت مضنية وشاقة احتمل فيها قيظ النهار وصقيع الليل . ثم انه لم يتخلص من لابان الا بشق النفس . ولم يلبث قليلا حتى واجه خطراً امر ، فقد كان عليه ان يلتقى باخيه الذى كان يطلب نفسه

وفى مرارة نفسه التقى بالملاك ليلا وصارعه حتى طلوع الفجر فخلع حق فخذه وصار يخمع على حق فخذه حتى نهاية حياته . وفضلا عن كل هذه المصائب فقد مرت عليه مصائب جمة من الكنعانيين أهل شكيم كانت كافية لتدمى فؤاده وتحز فى قلبه .

ولما وصل الى لوز ماتت دبورة مرضعة رفقة ودفنت هنالك تحت بلوطة سميت بلوطة البكاء تك ٣٥ : ٨

ثم رحلوا من بيت إيل . ولما كان مسافة من الارض بعد حتى يأتوا الى افراته ولدت راحيل (التى كان يحبها) وتعسرت ولادتها .... وكان عند خروج نفسها لانها ماتت انها دعت اسمه بن اونى » (اى ابن حزنى) تك ٣٥ : ١٦ ـ ١٨

بعد ذلك وصل الى ممرا حيث مات ابوه فزادته هذه الحادثة حزناً على حزن

اما الآلام التى انهالت على رأسه بعد ذلك والتى سببها له اولاده فسبق أن تأملنا فيها فى الفصول السابقة فقد كان متيقناً لديه ان وحشاً رديا افترس ابنه يوسف افتراساً . ولا شك فى ان فقد ابنه يوسف كل تلك المدة الطويلة قد مزق نياط قلبه .

وحتى بعد التقائه بابنه يوسف الذى طالت غيبته لم تخل حياته من الهم والحزن ؛ فقد كان عليه ان يعيش عالة على ملك مصر

وظل على هذه الحال سبعة عشر عاماً . وهذه حال لا تتفق مع المواعيد التى اعطيت لآبائه بالبركة

هكذا كانت حياة يعقوب الخارجية . فقد كانت مليئة بالمتاعب والمصائب من كل ناحية ، حتى أن المرء ليخيل اليه لأول وهلة أنها كانت حياة فاشلة . فان قارنتها بحياة عيسو تبين لك الفرق العظيم : لقد نال يعقوب البكورية ولكنه عاش طول حياته فى حزن وكدر ، أما عيسو الذى فقد البكورية فقد نال كل ما تشتهيه النفس ـ ثروة ، جلال ملكى ، بنون ناجحون أقوياء ـ هذه كانت نصيب نفسه . وفى الاصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين نرى قائمة باسماء سلالته التى كانت لها السيادة والسلطان . وربما يكون عيسو قد رثى لحال يعقوب أخيه فى كثير من المواقف ولعل لسان حاله كان يقول « ان اخى المسكين يتبع الاوهام ويسير وراء السراب ، فهو كثير الرؤى والاحلام ، أما أنا فلماذا لا امتع نفسى بكل ما فى العالم طالما بقى لى العالم . لنأكل ونشرب لاننا غداً نموت »

على ان يعقوب هذا عندما يقف امام فرعون نراه وهو اعظم ملوك العالم ينحنى امام يعقوب ليلتمس منه البركة « وبارك يعقوب فرعون» تك ٤٧ : ١٠ صحيح ان يعقوب اشتهر فى بدء حياته بالمكر والدس والخداع ؛ ولكن يظهر أنه قد تطهر من كل هذه الأدناس

عند ما جازت نفسه نيران المصائب والآلام ، ولذا فقد وصل فى نهاية الحياة مصفى مزكى ، وصل الى سمو فى الاخلاق حتى استطاع ان يمس قلب فرعون المتعجرف نفسه

لم يكن ممكناً ابداً لعيسو أن يبارك فرعون ، أما ذلك الراعى البسيط الذى قضى حياته غريباً على الارض متنقلا من مكان الى مكان فقد استطاع أن يفعل ما لم يكن ممكناً لاخيه ان يفعله بثروته أو مكانته

لا شك فى ان الشخص الاصغر هو الذى يطلب البركة ممن هو اسمى منه . فواضح اذاً أن يعقوب كان اعظم من فرعون الذى هو اعظم ملوك الارض طراً . اذاً فهنالك عظمة مستقلة كل الاستقلال عن كل المظاهر الخارجية التى هى مقياس العظمة فى نظر العالم . أن التاج لا يرفع شأن الملوك ، كما ان الثروة او المناصب او الانساب لا تكسب العظمة للأنسان . كان يعقوب عظيماً حقاً ، وقد لبس جلالاً ملكياً واستمد البراءة الملكية من الله . ألم يقل له الله بنفسه « لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت » تك ٣٢ : ٢٨

كانت هنالك ثلاثة عوامل هى التى ألبست يعقوب جلالا ملكيا ، وهذا عين ما تفعله معنا نحن أيضاً :

(الأول) الصلاة . عندما كان ذاهباً نحو حاران رأى حلم

واذا سلم منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء ، وكانت هذه السلم سر القوة فى حياته لأنه منذ ذلك الحين عاش تحت اقدام هذا السلم — سلم الصلاة التى كانت الملائكة تصعد عليها ترفع صلاته لله وتنزل عليها حاملة له بركات الله . فليتك تتعلم كيف تصلى بلا انقطاع . ان الصلاة هى سر العظمة الحقيقية لان من عرف كيف يقضى الأوقات الطويلة فى الغرفة الخاصة الملكية لبس جلالا ملكياً

(الثانى) الآلام . كان يعقوب فى بداية حياته أنانياً محباً لذاته عائشاً حسب الجسد . ففى احدى المرات نراه ينتهز فرصة جوع أخيه فيشترى منه البكورية ، ثم نراه يغش أباه ، ثم نراه يزيد ثروته على حساب خاله ، وهكذا نراه يتمم مقاصده بوسائل خاطئة . ولكن نيران الآلام قد التهمت كل هذه الاشواك وخلقت منه انساناً جديداً . وهذا نفس ما تفعله ايضاً مع كل الذين قد نالوا الطبيعة الجديدة ومع كل الذين يرغبون فى ان يتعلموا مقاصد الله من هذه الآلام . ان الخروف يجلس على العرش اليوم لانه سبق ان ذبح ، وان العرش محجوز اليوم لكل من تعلم كيف يتألم معه وكيف يموت معه .

(الثالث) الصلة مع المسيح . « وصارعه انسان حتى طلوع الفجر » من كان هذا الانسان ؟ حقاً انه لا يمكن ان يكون الا يهوه ، الذى لا يرى وجهه ولا يعرف اسمه . هو الرب نفسه

الذى كان ظهوره له اعلاناً سابقاً عن تجسده والذى قصد من كل ذلك تنقيته من كل ما لصق به من الادناس والشرور . لهذا فقد تغير اسمه من تلك الساعة الى « اسرائيل »

ايها القارىء العزيز . تأكد ان يسوع محب النفس يصارع معك رغبة منه فى ان يخلصك من حياة الدنس والشر ومحبة الذات ويهبك حياة الكمال والمجد . فسلم له حياتك لئلا يخلع حق نخذك ويعدمك قوتك . ان كنت تسمح له ليعمل فيك عمل روحه القدوس جعلك ضمن الملوك بل جعل من هم اعلى منك درجة ورتبة فى هذه الحياة يلتفون حولك لطلب البركات الروحية

الفصل الثانى عشر

يوسف بجانب أبيه على فراش الموت

(تك ٤٧ : ٢٧ ـ ٣١)

هذا ما فعله يسوع فهلا يستحق منا العبادة والخشوع
وهذا ما يفعله فهل نبقى بعد فى حال اليأس والخنوع
اسرع وتعال لكى نلجأ اليه
ونطرح اثقالنا تحت قدميه
فاننا فيه نجد سداً لكل اعوازنا
سواء فى الحياة أو فى الموت ، فى الحزن أو فى الفرح
فانه هو النهاية لانه كان البداية
وهو البداية لانه ستكون اليه النهاية

بعد ما استقر يعقوب فى مصر سكن ارض جاسان وفى هذه الارض المخصبة نما اولاده ونمت ذريتهم ونمت ثروتهم فتكوّنت تلك الامة العظيمة ـ بنو اسرائيل : « وسكن اسرائيل فى ارض

مصر فى أرض جاسان . وتملكوا فيها واثمروا وكثروا جداً »
ع ٢٧ وبعد أن استقروا فى أرض جاسان مضى عليهم سبعة عشر عاماً دون أن يستجد شىء من الحوادث الجسام . وفى هذه المدة انتعش روح يعقوب بسبب ما أحاطه به ابنه من حب عميق وبسبب ما رآه من حال العز والسؤدد والمجد التى رأى ابنه مغموراً بها . واذ كانت حياة يعقوب قد بدأت تنحل استدعى اليه ابنه — موضع رجائه — لا مرة ولا اثنتين بل ثلاث مرات وهو على فراش الموت. وستكون هذه الزيارات الثلاث موضوع تأملنا الآن.

ان الكتاب المقدس هو كتاب الحياة . فيه نستطيع أن نقرأ عن حياة وأعمال الابطال اكثر مما نقرأ عن موتهم . فبينما نجد أسفاراً كاملة تتضمن تاريخ حياتهم لا نجد سوى أعداداً قليلة عن موتهم وعن الكلمات القليلة التى تفوهوا بها عند الموت . لهذا فان رأيت وصفاً مفصلا عن موت أحد الابطال فلا بد أن يكون ذلك لداع خاص ليسترعى اهتمامنا والتفاتنا . وهذا ما نراه فى وصف موت يعقوب هنا :

(١) . زيارة يوسف الأولى . « ولما قربت أيام اسرائيل ان يموت » ع ٢٩ نعم فمهما طالت الحياة لا بد أن تكون لها نهاية . ولا بد أن يموت اسرائيل .

على أن موته قد كشف النقاب لأولاده وذريته فاستطاعوا

أن يروا من وراء الستار حقيقة الحياة الخالدة وجمالها بعد أن كان ذلك مستوراً عن أعينهم . ونستطيع أن ندرك قليلاً مما جال فى خاطر يوسف فى كل زياراته لابيه ووقوفه بجانبه وهو على فراش الموت .

يصرح لنا العهد الجديد فى احدى آياته البارزة أن المسيح « ابطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الانجيل » ٢ تى ١ : ١٠ على أن هذا ليس معناه أن الانجيل قد عرّفنا بما كان مجهولا تمام الجهل من قبل . فقبل أن يجىء المسيح الى هذا العالم حاملا مفاتيح القيامة والحياة كان رجال العهد القديم يعيشون على رجاء الحياة الأبدية ، وما كان الانجيل إلا مبدداً لكل السحب التى كانت تحجز الكثير من النور عن رجال العهد القديم .

ولسنا نجد صعوبة كبيرة فى إقامة الدليل على صدق هذا القول. فدانيال يعلمنا فى صراحة عن حقيقة القيامة العامة وذهاب البعض الى الحياة الأبدية والبعض الى العار للازدراء الأبدى (ص ١٢) وسفر الجامعة يختم بحثه بذكر هذه الحقيقة الصريحة وهى رجوع الروح الى الله الذى أعطاها ثم حقيقة الدينونة العامة (ص ١٢) وسفر أيوب — الذى يسميه البعض أنشودة الخلود — يتحدث الينا فى وضوح قائلا « أما أنا فقد علمت أن ولي حى والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله »

ص ١٩: ٢٥ و٢٦ أما سفر المزامير فاننا نرى فيه الأشارات العديدة التى تؤكد لنا أن أتقياء اليهود عاشوا على هذا الرجاء « لانك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيك يرى فساداً . تعرفنى سبيل الحياة » مز ١٦: ١٠ و١١

لهذا فقد كان هذا الرجاء — رجاء الحياة بعد القبر — هو سر حياة البطاركة الثلاثة الأولين الذين رقدوا معاً فى مغارة المكفيلة . لانهم لماذا جالوا من هنا وهنالك كغرباء فى تلك الارض الغريبة — أرض الموعد ؟ لماذا ارتضوا أن لا ينالوا منها ميراثاً ولو موطئاً لقدم ؟ لماذا ارتضى ابراهيم أن يسكن فى خيام مع اسحق ويعقوب بدل أن يسكن المدن مثل سدوم وعمورة ؟ وماذا كان يعنى ابراهيم عندما قال للحثيين « أنا غريب ونزيل عندكم » تك ٢٣ : ٤ وماذا كان يجول بخاطر يعقوب عندما وصف حياته وهو ماثل أمام فرعون بانها « غربة » ؟ ان الاجابة على كل هذه الاسئلة نجدها واضحة فى قائمة الابطال المدونة فى الاصحاح الحادى عشر من رسالة العبرانيين اذ يقول الرسول عنهم أنهم كانوا يطلبون وطناً أفضل . واذ كان هذا الاعتقاد يسودهم رفضوا أن يمتلكوا شيئاً من أرض الموعد سوى القبر الذى يضم رفاتهم لانهم كانوا ينتظرون ذلك الوطن الافضل

لا شك فى أنهم فى بداية الامر كانوا يعتقدون أن أرض

كنعان هى أرض الموعد . واذ كانوا يرقبونها سنة بعد سنة استنارت بصائرهم فاستطاعوا أن يبصروا تلك الارض التى كانت ترمز اليها أرض كنعان التى تفيض لبناً وعسلا والتى تفوقها بهجة ومجداً ، وبعد أن كانت عقولهم محصورة فى المدينة صنع أيدى الناس استطاعوا أن يروا المدينة التى صانعها وبارئها الله ، والتى أعدها لكل الذين يحبونه ؛ واستطاعوا أن يدركوا أنها هى وطنهم وهى مدينتهم الحقيقية . ومما يؤيد صحة عقيدتهم هذه حياة الغربة التى عاشوها

وهذه العقيدة فى « مدينة الله » التى كتب عنها القديس أوغسطينوس على سواحل افريقيا هى التى حفظت نفوس القديسين فى هذه الحياة وهى التى جعلتهم ينظرون بابتسامة الى ظلمة القبر « فى الايمان مات هؤلاء اجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها (كما يرى الفنار من بعيد فينبىء عن مدينة بعيدة) وصدقوها وحيوها » كما يحيى الغريب وطنه اذ يبصره عن بُعد . ولا شك فى أن هؤلاء الغرباء كانوا يتطلعون الى السماء بلهفة وحنين ورجاء أكيد . لهذا فقد لاق بيعقوب أن يقول وهو على فراش موته « لخلاصك انتظرت يارب » تك ٤٩ : ١٨ وهذا ما قد رفع المرارة من كأس الموت

ثم لاحظ أيضاً أن يعقوب لم يكن واثقاً فقط من الحياة

الأبدية بل كان أيضاً واثقاً من تمتعه هناك بعشرة زمرة القديسين الذين ينتظرونه . اسمعه يقول « أنا أنضم الى قومى » تك ٤٩ : ٢٩ ويقيناً أنه لم يقصد مجرد الدفن فى قبرهم لأنه يذكر هذا فى الكلمات التالية « ادفنونى فى المغارة التى فى حقل المكفيلة » نعم أنه قصد أن يقول انه ينتظره فى تلك المدينة جماعة القديسين ، نفوس المختارين ، نفوس شعب الله الذين قد أرضوا الله فى حياتهم .

فى تلك المدينة تتجمع نفوس كل القديسين سنة بعد سنة ، وهم الآن فى انتظارنا . ونحن إذ نخرج من هذا العالم لا نزج فى ظلمة القبر وسكونه ولكننا نضم الى قومنا ، أولئك الذين قد أحببناهم ، فهم يرقبون مجيئنا اليهم بفارغ الصبر ، وعندما يتلقون واحداً يستقبلونه بترنيمة الظفر والتسبيح .

على أن يعقوب لم يستدع يوسف لمجرد رغبته فى اعلان هذه الحقيقة اليه بل لانه كان يريد أيضاً أن يقطع معه عهداً ليدفنه فى أرض كنعان . لقد ظل يعقوب فى أرض مصر سبعة عشر عاماً محوطاً بكل مظاهر المجد والعظمة وألفت نفسه مناظر الهياكل والاهرامات والمسلات ، ولكن هذه جميعها لم تنسه تلك المغارة السحيقة التى فيها يرقد الآباء . ولا شك فى أنه لم يكن ليتردد لحظة واحدة عن تفضيل تلك المغارة الحقيرة التى رقد

عيها الآباء على رجاء القيامة عن أن يدفن فى أفضل اهرامات مصر

ان الطبيعة البشرية لم تتغير الا ن عما كانت عليه فى ذلك الحين فان وطننا الحقيقى هو حيث توجد مقابر الآباء والأجداد الاعزاء . لهذا فكم من الأبطال الذين عاشوا فى أرض غريبة أوصوا بأن لا يدفنوا إلا فى أوطانهم مهما كانت وضيعة . فان كان يعقوب أبدى رغبته فى أن لا يدفن إلا فى أرض المكفيلة فقد كان ذلك أمراً طبيعياً

على ان الامر لم يكن مجرد عواطف طبيعية . فقد كان يعقوب رجلا قوى الايمان ، كان قد عرف الوعد الذى وعد الله به ابا ابراهيم ان يعطيه ارض كنعان ملكاً له ولنسله ، وصدق هذا الوعد وحياه من بعيد ، وعرف ان ارض كنعان هى التى يجب ان يستقر فيها شعب الله لا ارض مصر ، لانهم لا يمكن ان يستقروا الى الابد فى ارض مصر مهما كانت ارض جاسان خصبة او مهما حسنت معاملة المصريين لهم ، وعرف انه لا بد ان يأتى اليوم الذى فيه يضرب البوق للرحيل الى وطنهم . فكيف تسمح نفسه ان يترك غريباً فى ارض غريبة ويدفن فى مصر . فان كان لا بد لهم من مغادرة البلاد فليغادرها هو قبلهم ، وان كان لا بد لهم ان يستقروا فى ارض الموعد فليسبقهم هناك وينتظرهم . وان كان الرب لم يسمح

له بان يشاركهم فى متاعب واخطار وامجاد الخروج فلينتظرهم هنالك لكى يستقبلهم وهم داخلون فى موكب النصر ليرثوا الارض.

« ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فضع يدك تحت فخذى واصنع معى معروفاً وأمانة . لا تدفنى فى مصر . بل اضطجع مع آبائى . فتحملنى من مصر وتدفنى فى مقبرتهم » ع ٢٩ و ٣٠ واى ابن يستطيع ان يرفض هذا الطلب ؟ ايجرأ احدنا على رفض الطلبات الاخيرة التى يحملها لنا احباؤنا ؟ لهذا فلم يتردد يوسف لحظة فى تلبية الطلب « فقال انا افعل بحسب قولك » على ان ذلك الشيخ لم يقنع بمجرد هذا الوعد بل قال له « احلف لى . فحلف له . فسجد اسرائيل على رأس السرير » وهكذا انتهت زيارة يوسف الاولى لابيه وهو على فراش الموت

(٢) زيارة يوسف الثانية . عندما وصلته الاخبار عن مرض ابيه رغب فى رؤيته ، فذهب اليه بلا ابطاء واخذ معه ابنيه منسى وافرايم تك ٤٨ : ١ ولا شك فى انه ظن اذ ذاك ان نهاية حياة ابيه قد دنت . وعندما وصل اليه وجده فى حال من الاعياء حتى انه لم يكن ممكناً له تمييز الواقفين حوله . ولكن عندما « قيل له هوذا ابنك يوسف قادم اليك » ع ٢ كان مجرد ذكر هذا الاسم المحبوب كافياً لانعاش نفسه « فتشدد وجلس على السرير »

ومهما بلغت قواه الجسمانية من الضعف فان قواه العقيلة لم

يتطرق اليها الوهن اذ نراه يتذكر الماضى بكل ما فيه . ويظهر أيضاً انه كان لا يزال جالساً تحت أقدام ذلك السلم الرمزى الذى كانت تصعد وتنزل عليه الملائكة ، والرب واقف فى نهايته من أعلى يزيده تأكيداً بالبركة ويعده بان يعطيه ونسله تلك الارض التى تغرب فيها الآباء على رجاء الميراث الأبدى ع ٣ و ٤ ورغماً عن مرور الزمن الطويل فلم تكن الأيام بكافية لتنسيه ذلك الوعد ولو بلغ عمره ضعف سنى حياة متوشالح . وهل لم يحقق الله هـذا الوعد بل وأكثر منه ؟

وفضلا عن أن ذاكرته قد حوت الماضى القديم فانه أيضاً لم ينس تاريخ عائلته الحديث . فانه لم ينس أن يوسف الماثل أمام سريره الآن له ابنان ، ثم اعلن عن رغبته فى اعتبار ابنيه ضمن أولاده « والآن ابناك المولودان لك فى أرض مصر قبلما أتيت اليك الى مصر هما لى . افرايم ومنسى كرأوبين وشمعون يكونان لى » ع ٥ وبذلك امكن أن يكون ليوسف نصيب مضاعف فى أرض كنعان ولو أن اسمه قد مسح من خريطة كنعان ولكن ولديه افرايم ومنسى كانا يمثلانه

وبعد أن قال يعقوب هذا حملته ذكرياته فجأة الى طريق بيت لحم حيث توقف عن المسير بسبب تلك الفاجعة التى حلت به حينئذاك بموت راحيل التى كان قد أفرط فى حبها . ويظهر انه لم

ينس قط ذلك المنظر ، ويظهر انه قد ارتسم فى مخيلته الآن ذلك المكان الذى دفن فيه راحيل « فى طريق أفراته » ع ٧

وبعد ان عاد يعقوب من خياله الذى سبح فيه برهة كان اول من وقع نظره عليه ابنا يوسف فسأل اباهما قائلا :

« مَن هذان » ؟ ع ٨

فقال يوسف لابيه « هما ابناى اللذان اعطانى الله ههنا » ع ٩

فقال يعقوب « قدمهما الىّ لاباركهما »

فقدما اليه ثم « قبلهما واحتضنهما » ومرة اخرى سبح يعقوب فى خياله فتذكر الايام المريرة التى مرت عليه ولم يكن يفكر ان يعود ويرى وجه ابنه . اما الآن فقد سمح الله ـ الذى يحفظ نفوس عبيده ويملأهم بالبركات ـ بان يريه نسله ايضاً .

وبروح النبوة صلّب اسرائيل يديه ووضعهما على الفتيين اللذين وقفا أمامه ملتمسين البركة ، فوضع يده اليمنى على رأس الصغير واليسرى على الكبير ، وبذلك الوضع أعطى الافضلية للصغير على الكبير مما هو مخالف للعرف والمألوف ومناقض لحقوق البنوية . وعبثاً حاول يوسف ان يرد ابيه عن هذا الوضع المخالف . فان اباه الشيخ كان واثقاً مما يفعله كما كان واثقاً من انه انما بذلك يتمم ارادة الله . « علمت يا ابنى علمت . هو أيضاً يكون شعباً وهو أيضاً

يصير كبيراً . ولكن اخاه الصغير يكون اكبر منه . ونسله يكون جمهوراً من الامم » ع ١٩

لم يكن للصدفة دخل فى هذا المجال فانه يظهر أن افرايم كانت له بعض الصفات التى قدمته على أخيه. وفى العهد القديم نستطيع أن نجد مجال الرجاء متسعاً لأصغر الأبناء ، فكل من يعقوب وموسى وجدعون وداود كان أصغر اخوته . ليس امراً ذا بال أن تولد فى الحياة ولك اسم أو شهرة أو ثروة ، ولكن الأمر الجوهرى هو أن يضع الانسان اعتماده على ذراعه وعلى بركة القدير . ان الله لا يأخذ بالوجوه ، فهو يرفع الاصغر الى أعلى الصفوف إن وجد فى أخلاقه ما يؤهله لذلك ، وهو يضع الاكبر ويحطه الى أدنى الصفوف أن تسفلت أخلاقه وانحطت صفاته . وهكذا يصبح الاولون آخرين والآخرون أولين

واذ وضع اسرائيل يديه على الشابين نطق بكلمات عذبة ولذيذة عن الملاك الذى خلصه من كل شر ، وما هذا الملاك إلا الرب نفسه الذى « رعاه منذ وجوده الى هذا اليوم » ع ١٥ و ١٦ ، هو الاقنوم الثانى من الثالوث المقدس الذى قد وضع مسرته فى بنى البشر والذى طالما ظهر فى صورة ملاك قبل أن يظهر فى صورة إنسان

ونحن أيضاً لنا ملاك حارس هو الرب يسوع المسيح . فان

أردت الخلاص من كل شر ، وبنوع خاص من شر الخطية ، فاترك نفسك تحت حمايته . وهو إن كان قد بدأ عمل الفداء قبل التجسد والموت والقيامة باجيال طويلة فكم يكون استعداده الآن لخلاص كل من يقبل اليه ، وهو الآن جالس عن يمين الله

والآن يامن تقلق وتهتم لخبزك اليومى ! تشجع ، واصغ الى شهادة ذلك الشيخ فى نهاية حياته فانه يقول « الذى رعانى منذ وجودى الى هذا اليوم » فان كان الرب قد رعاه مئة وسبعة واربعين عاماً فلا شك فى أنه لن ينساك فى سنى حياتك القليلة .

بقى من هذا الحديث موضوع واحد يستحق منا الاهتمام . منذ سنوات طويلة كان أولاد يعقوب قد سببوا له بعض المشاكل مع سكان كنعان الاصليين ، الامر الذى اضطره — دفاعا عن نفسه — ان يحصل على قطعة ارض بسيفه وقوسه . والآن نراه يهب هذه الارض لابنه المحبوب كنصيب إضافى ع ٢٢

فليت كل الشبان الذين يقرأون هذه السطور يتعلمون كيف يرضون والديهم لكى يكونوا موضوع فخرهم فى حياتهم وموضوع عزائهم عند وفاتهم ، ولكى ينعم الابناء بعد وفاة والديهم ببركاتهم التى قد زودوهم بها حال الوفاة لان هذه أثمن من الذهب واللآلىء

(٣) زيارة يوسف الثالثة والاخيرة . وفى هذه المرة الاخيرة يقف يوسف مع باقى اخوته حول سرير أبيهم فى ساعاته الاخيرة

وعندما بدأ يناديهم كل باسمه كان قلب كل واحد يكاد ينخلع خوفاً . فقد كان يلخص أخلاقهم وصفاتهم وما فى حياتهم فى كلمات قصيرة ثم يلخص مستقبلهم أيضاً فى كلمات

ألا يرمز هذا المنظر للدينونة العامة التى فيها يسمع الجميع تاريخ حياتهم ثم يسمعون الحكم الذى لا راد له ؟ ؟

على ان ذلك الوالد عندما يجىء دور ابنه الحبيب يتكلم برقة تنم عما يكنه له قلبه من حب عميق وتمنيات طيبة . وبعد ان نطق ببضع كلمات أخرى لبنيامين نرى ذلك الشيخ الوقور « ضم رجليه الى السرير وأسلم الروح وانضم الى قومه » على أن تلك الشخصية التى قد تثقلت فى حياتها بالأكدار والهموم قد ارتفعت الى عالم آخر ، عالم المجد ، والشركة التى لا تنقطع لان الله الذى قال عن نفسه أنه « إله يعقوب » ليس إله أموات بل إله أحياء .

« فوقع يوسف على وجه أبيه وبكى عليه وقبله » تك ٥٠ : ١ وأمر الأطباء بتحنيط جثته كأنما أراد أن يخدع نفسه بالانتصار على الموت ؟

الفصل الثالث عشر

يوسف فى أيام الأمبرة

(تك ٥٠ : ٢٤ و ٢٥)

« انا اموت . ولكن الله سيفتقدكم . . . فتصعدون عظامى من هنا » هذه هى الكلمات التى نطق بها يوسف ساعة الموت . وهذه تذكرنا بما قاله عنه كاتب رسالة العبرانيين فى ص ١١ : ٢٢ «بالايمان يوسف عند موته ذكر خروج بنى اسرائيل واوصى من جهة عظامه »

والآن لنلاحظ :

(أولا) الظروف التى نطق فيها يوسف بهذه الكلمات .

١ — أما اولا فانه كان قد تقدم فى الايام . فانه كان قد بلغ من العمر مائة وعشر سنوات وهذه قد فتت فى عضده واضعفت قواه . كان قد مضى عليه ٩٣ عاماً منذ القائه فى الجب ، وثمانون

عاماً منذ تبوئه منصبه الرفيع ، وستون عاماً منذ دفن ابيه فى مغارة المكفيلة . لقد عاش طويلا حتى رأى اولاد اولاده الذين ولدوا وتربوا على ركبتية تك ٥٠ : ٢٣ وحقاً لقد بارك الرب عبده الامين هذا بالعمر الطويل والايام الكثيرة . والآن نراه وهو يرزح تحت عبء هـذه السنين الطوال ينحدر الى الهاوية فى طريق الارض كلها .

٢ — اما المظاهر الخارجية التى احتاطت به عند سرير موته فقد كانت اقل مما شهده فى آبائه . فانه لما مات ابوه خرجت البلاد وراءه وظهرت بمظاهر الاجلال والاحترام لانه انجب لها يوسف الذى خلصها من موت محقق ، ولكن لمـا مات يوسف يظهر انه لم تعن به البلاد العناية الواجبة ويظهر انه رأى عن بعد شبح الظلام يخيم على حيـاة شعبه المحبوب ، ونراه وقد التف اخوته حوله يخاطبهم بلهجة العطف والاشفاق وكأن لسان حاله يناديهم : لقـد بذلت كل ما فى وسعى من اجلكم ، ولكننى سأموت ، ورغماً من كل ذلك سيرسل لكم الرب من يخلفنى ويعمل لكم اعمالا اعظم منى .

منذ نحو ثلاثمائة عام رأى مؤسس هذا الشعب رؤية اذ كان يقضى طول نهار احـد الايام بجانب المذبح . وتتضمن تلك الرؤية فى انه رأى شعبه قد سبى الى ارض غريبة حيث يقضى ايامه فى ذل

العبودية . وبينما هو يتأمل فى مرارة هـذه العبودية اذ بسحابة مظلمة تكتنفه فتسود نفسه هزة من الذعر والرعب (تك ١٥)

ونحن نعرف كيف تحققت هذه الرؤية تماماً بعد يوسف بزمن وجيز فسرعان ما نقرأ هذه الكلمات « فاستعبـد المصريون بنى اسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل . كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفاً » خر ١ : ١٣ و ١٤ . ويظهر أن شبح هذه العبودية التى كانت على الابواب كان جاثماً أمام يوسف .

ونحن لا ندرى تماماً كيف كان شبح تلك العبودية ماثلا أمام يوسف ، فلعله كان قد أقصى عن البلاط الفرعونى ، أو لعله كان قد انزوى فى احدى زوايا النسيان ، أو لعل صوت التذمر ضد شعبه كان قد ابتدأ يرتفع ، أو لعل المظالم كانت قد بدأت تنهال على شعبه حتى أنه لم يستطع أن يوقفها عند حدها . ومهما كان الأمر فان ظلام هذا الليل البهيم كان قد بدأ ينتشر فى سماء ذلك الشعب . وتحت هذه الظروف فاه يوسف بكلماته السابقة

٣ — وفضلا عن ذلك فقد كان اخوته حوله . لقد دامت محبته لهم وصفحه عن اساءاتهم اليه حتى ساعة الموت . ومما صبق فى هذا الأصحاح نستنتج أنهم كانوا يشكون فى اخلاصه

ومحبته لهم وأنهم كانوا يتوهمون بان بقاء أبيهم على قيد الحياة هو الذى عاقه عن الانتقام لنفسه منهم ، ولهذا فـالما مات أبوهم ملأ الخوف قلوبهم لاعتقادهم بان الحقد الـكامن فى قلبه سينفجر الآن ويشتعل غضبه عليهم ، لذلك نراهم يقولون « لعل يوسف يضطهدنا ويرد علينا جميـع الشر الذى صنعنا به » تك ٥٠ : ١٥ ولـكن يوسف لم يكد يسمع هذه الـكلمات حتى بكى ، بكى لانهم أساءوا الظن به بعد أن أكد لهم محبته مراراً ، بكى لانه رآهم يجثون عند قدميه لطلب الصفح الذى كان قد خادعه عليهم منذ سنوات طويلة - وبعد ذلك قال لهم بتأثر شديد « لا تخافوا ، لانه هـل أنا مكان الله . أنتم قصدتم لى شراً ، أما الله فقصد به خيراً لكى يفعل كما اليوم . ليحيي شعباً كثيراً » تك ٥٠ : ١٩ و ٢٠

لقد كان الصفح عن اساءات هؤلاء الأخوة عجيباً حقاً لانه لم يكن من هذا العالم . فقد كان قلب يوسف عامراً بمحبة الرب يسوع الذى يضيء لكل إنسان آت الى العـالم ولو لم ينطق لسانه بذكره ، وقد كان سلوكه رمزاً لمحبة الفادى

أيها القارىء العزيز ! أنه مستعد للصفح عنك هكذا . فان كنت قد تمردت عليه ورفضته وصلبته لنفسك ثانية وسببت له الخزى والعار ، ولكنه رغماً عن كل ذلك مستعد أن يمنحك الصفح

الكامل فلا يعود يذكر شيئاً من تعدياتك فيما بعد قطعياً . ألا يستحق الرب منك كل حمد وشكر من أجل هذا الصفح المجانى الكامل . ثم لاحظ بانه إن غفر لك احدى الخطايا فانك لا تحتاج لتسأله الصفح عنها ثانية كما فعل اخوة يوسف هنا .

ذكر عن محبة الرب يسوع أنه اذ أحب خاصته أحبهم الى المنتهى يو ١٣ : ١ فان كان قد أحب الى المنتهى فانه يخلص الى المنتهى . هكذا أحب يوسف أيضاً ، فاننا نحن الذين نعيش الآن فى نور الانجيل الكامل نعجب من تلك المحبة التى فاضت من قلب يوسف الذى لم ير شيئاً من نور الانجيل . فليتنا نحب وليتنا نصفح كما فعل يوسف . ان ذلك ممكن بل يسير جداً تحت شرط واحد ـ هو أن نفتح قلوبنا لسكنى ذاك الذى قبل تجسده بأعوام طويلة وجد مقاماً فى قلب ذلك الرجل السياسى العظيم

٤ — وأخيراً أنه كان على فراش الموت . لقد استطاع أن يرد الموت عن كل أرض مصر ولكنه الآن لم يستطع أن يرده عن نفسه . « أنا أموت » هذه هى الكلمات التى انسابت على فم والده حال موته تك ٤٨ : ٢١ وهو هنا يطبقها على نفسه ، وبذلك يوضح ثقته الكاملة فى إلهه ، ورجاءه التام فى الحياة الابدية . لعل أحسن برهان على حياة الخلود هو هذا : ان كان الجسد كلما ازداد ضعفاً

وانحلالا ازداد احساسنا ورجاؤنا بالحياة الابدية فلا بد أن يكون فينا شيء آخر خلاف اللحم والدم

تحت كل هذه الظروف قال يوسف « الله سيفتقدكم . . . . فتصعدون عظامى من هنا »

(ثانياً) والآن لنتأمل فى أهمية هذه الكلمات . ويحسن بنا أن نقارنها بما قاله يعقوب قبيل موته « أدفنونى عند آبائى . . . فى المغارة التى فى حقل المكفيلة » تك ٤٩ : ٢٩ و ٣٠ وهذا أمر طبيعى إذ يحب المرء بأن يدفن بجوار أحبائه . كان يعقوب يعلم بأن تنفيذ رغبته هذه أمر يسير جداً لا يكلف كبير عناء إذ كان يوسف فى أوج عزه ومجده . فان كان قد طلب أمراً سهل المنال فلم يكن فى حاجة الى قوة الايمان . أما يوسف فقد كان الأمر معه على العكس من ذلك . صحيح أنه رغب فى أن يدفن فى أرض كنعان ولكنه لم يطلب تنفيذ هذه الوصية حالا . لقد كان يتوقع حدوث أمرين : الأول انه لا بد أن يتم الخروج من أرض مصر والثانى أنهم لا بد أن يستقروا فى أرض كنعان . أنه لم يكن يعلم كيفية أو زمن الخروج ولكنه كان متأكداً منه .

لقد كانت كل المظاهر الخارجية تدل على أن تحقيق هذين الأمرين يكاد يكون مستحيلا . فانه عندما نطق بهذا

الكلام كان بنو اسرائيل مستقرين فى أرض جاسان وكانوا كل يوم يزدادون فى العدد والثروة حتى أصبح من العسير خروجهم . أما من جهة المظالم التى كانت قد بدأت فيرانها تشتعل فكيف كان يتاح لبنى اسرائيل أن يهربوا منها وقد بلغت قوات المصريين الحربية شأواً عظيماً . لهذا فقد كان تنبؤ يوسف عن المستقبل مبنياً لا على نظراته البشرية بل على اعلانات القدير له . ولا شك فى انه تذكر وعد الله لابراهيم إذ وقف على الجبل « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً . لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك الى الأبد » تك ١٣ : ١٤ و١٥ كما تذكر أن هذا الوعد قد تكرر لاسحق أيضاً « تغرب فى هذه الأرض ... لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأفى بالقسم الذى أقسمت لابراهيم أبيك » تك ٢٦ : ٣

وقد تكرر هذا الوعد أيضاً ليعقوب إذ كان مضطجعاً تحت أقدام السلم « الأرض التى مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك » تك ٢٨ : ١٣

كل هذه المواعيد احتفظ بها الآباء وتسلمها الخلف عن السلف ككنوز ثمينة . فيعقوب أكد ليوسف عند موته أن الرب سيعيدهم الى أرض آبائه ، ويوسف بدوره يؤكد هذه الحقيقة لاخوته الذين قد التفوا حوله . لقد كانت تلك الكلمة

التى دوت قديماً فى أذنى ابرهيم منذ مائتى عام « وفى الجيل الرابع يرجعون الى ههنا » تك ١٥ : ١٦ يرن صداها فى آذان كل ذريته . لم يكن يوسف يعلم كيف يتمم الله هـذا الوعد ولكنه كان يكفيه جداً أن يعلم بأنهم سوف « يرجعون الى ههنا » . لهذا فقد أمر ان لا تدفن عظامه بل تكون مستعدة فى أى وقت لتحمل الى أرض كنعان عندما يطلق صوت النداء للخروج من أرض مصر .

ويا لها من دروس نافعة قد تلقنها بنو اسرائيل من هـذه العظام التى لم تدفن . فكلما كان رؤساؤهم المصريون يشدون الخناق على أعناقهم ويقسون فى معاملتهم كانوا يجدون راحة وتعزية إذ يهرعون الى تلك العظام الباقية فى تابوتها منتظرة حتى تحمل الى أرض الموعد والراحة ، وكان لسان حالهم يقول فى كل مرة : « لقد أكد لنا يوسف اننا لا نبقى هنا الى الابد ولكننا لا بد راحلون الى كنعان ان عاجلا أو آجلا فلنتحمل ما نلاقيه بالصبر ولعل الفرج آت عاجلا » .

وكلما كان احدهم تغويه المظاهر الخارجية ويقنع بالثوم والبصل والكرات — التى اشتهرت بها ارض مصر — كان يجد فى هذه العظام عظات بالغات « ان كنا سوف لا نبقى هنا الى الابد فيجب ان لا نبنى كل آمالنا على هذه المظاهر الخادعة الزائلة »

وكم من مرة عندما دب اليأس فى نفوس الشعب اثناء ارتحالهم فى الصحراء تطلعوا الى هذه العظام فوجدوها منشطة لعزائمهم اذ تذكروا ثقة يوسف الكاملة فى إلهه بانه لا بد آت بهم الى ارض الراحة .

ونحن وان لم تكن لنا عظام تبعث الامل فينا وتعيد الرجاء الينا ، الا اننا لدينا ما هو افضل ـ لدينا قبر فارغ . عندما مات يوحنا المعمدان تشتت تلاميذه ، ولكن عندما مات المسيح لم يرتبط تلاميذه معاً برابطة اقوى فقط بل نهضوا الى قوة اعظم . وان ما فعله هذا القبر الفارغ من التغيير فى حياة التلاميذ يفعله فى حياتنا نحن ايضاً . فهذا القبر يحدثنا بان الرب قد قام من بين الاموات ، يحدثنا بان نصيبنا بعد ارتحالنا من هذه الحياة هو الحياة لا الموت ، يحدثنا بان هذا العالم ليس هو مقامنا او وطننا بل يجب ان نطلب وطناً فى السماء حيث المسيح جالس عن يمين الله ، يحدثنا بان القيامة ليست ممكنة فقط بل ثابتة واكيدة ، وبانه حيث يكون هو سنكون نحن ايضاً . يحدثنا باننا طالما كنا سائرين فى الطريق والحق والحياة فهو لنا الرفيق الالزق من الاخ ، يمسكنا بيميننا حتى نصل اليه ونكون معه بعد اذ نكون قد عبرنا وادى ظل الموت

(ثالثاً) وأخيراً لنتأمل فى الروح الباعث لهذه الكلمات . كان هذا الروح فوق كل شىء يسوده الشعور بالغربة . كان يوسف قد

أعطى لقباً مصرياً وتزوج بامرأة مصرية واشترك بل امتزج فى الحياة المصرية بكافة نواحيها السياسية والتجارية والاجتماعية . ولكنه كان واثقاً من انه انما هو غريب كابراهيم واسحق ويعقوب الذين سكنوا الخيام من قبل . لقد شغل منصبه فى البلاط الفرعونى بمنتهى الكفاءة والمقدرة ولكنه عند الموت تنساب من شفتيه هذه الكلمات التى تنم على انه لم يكن قانعاً بهذه الحياة أو المظاهر التى ألفها بل كان قلبه متعلقاً بوطن آخر . ورغماً عن انه كان محاطاً بكل مظاهر تلك المدنية القديمة ويعيش وسط الهياكل الثابتة والاهرامات الراسخة التى تدل على الثبات والاستقرار الا انه فى هذه الكلمات يعترف بانه ليست له فى هذا العالم مدينة ثابتة بل كان يطلب وطناً أفضل فى العالم الآخر .

ألا يليق بنا عندما تتعلق قلوبنا بأباطيل هذه الحياة كأنها دائمة الوجود أن نذكر يوسف وكيف كان يتمثل دواماً باولئك الذين « اقروا بانهم غرباء ونزلاء على الارض » عب ١١ : ١٣

ايها الاخوة الاعزاء ! ما هى غايتنا فى هذه الحياة ؟ هل نحن نقنع بنصيبنا فى هذا العالم الضيق وأوقاته المحدودة ؟ هل نحن نعيش لمجرد الاستمتاع بأباطيل هذه الحياة ؟ أليست هذه هى غاية الاغلبية الساحقة ممن دُعى عليهم اسم المسيح ؟ ان كان الامر كذلك فانه من العبث أن ندعى بان لنا صلة بجمهور الغرباء والنزلاء الذين

عاشوا ولا يزالون يعيشون وهم لا ينظرون الا لتلك المدينة الباقية والوطن الافضل . أم نحن نعيش كما عاش يوسف الذى كان قلبه لا يتعلق بالأمور التى ترى ، التى تزحم طول يومه وتستنفد كل مجهوده ، بل بالأمور الابدية التى لا ترى

وهذا الروح — روح الشعور بالغربة — لا يجعلنا نظريين بل عمليين فى الحياة . فمن ذا الذى كان عملياً كيوسف فى زمانه ؟ من هو جدير بأن يكون نشيطاً ودقيقاً الا ذاك الذى يعلم بانه انما يعمل للأبدية وانه انما يبنى يوماً فيوماً حياته الابدية التى سيحياها فيما بعد . فنحن فى كل يوم نزيد بناء حياتنا إما للشر أو للخير ، وكل عمل نتممه — خيراً كان أم شراً — ان هو الا حجر فى البناء ، وكل دقيقة نقضيها تدل على الابدية . وبالاجمال فكل منا سينال الجزاء حسب عمله .

. . .

يالله من فرق شاسع بين الكلمات الافتتاحية والكلمات الختامية فى سفر التكوين . ففى الكلمات الافتتاحية نقرأ « فى البدء خلق الله » وفى الختامية نقرأ « ووضع فى تابوت فى مصر » . وهل تنتهى كل اعمال الله الى « تابوت » ؟ كلا ! فانما هذه هى خاتمة سفر التكوين فقط . قلب الصحائف بعد ذلك تجد سفر الخروج ثم

يشوع والملوك والانبياء ثم المسيح . ان عمل الله لا يتوقف على الانسان البشرى الضعيف . فنحن انما نتمم عملنا ونكف ، اما عمل الله فيستمر الى الابد وهيكله ينمو من جيل الى جيل . ويكفى ان يعيش كل منا كيوسف حياة طاهرة امينة قوية نبيلة ونترك له هو ان يهتم باجسادنا ، واحبائنا الذين نتركهم بعد الرحيل ، واعمالنا ، وهو لايمكن ان يتخلى عن اى شىء . « واخذ موسى عظام يوسف معه » فى ليلة الخروج خر ١٣ : ١٩ « وعظام يوسف . . . . دفنوها فى شكيم . .فصارت لبنى يوسف ملكا » يش ٢٤ : ٣٢

انتهى والحمد لله أولا وآخراً

فهرس الكتاب

صفحة

المقدمة

٩ الفصل الاول يوسف فى ايامه الاولى

١٥ الفصل الثانى يوسف فى الجب

٢٤ الفصل الثالث فى بيت فوطيفار

٣٨ الفصل الرابع سر الطهارة

٤١ الفصل الخامس فى اعماق السجن

٥٨ الفصل السادس من السجن الى العرش

٧٤ الفصل السابع حديث يوسف الاول مع اخوته

٨٨ الفصل الثامن حديث يوسف الثانى مع اخوته

١٠١ الفصل التاسع يوسف يعرف نفسه لاخوته

١١٥ الفصل العاشر خدمة يوسف فى مصر

١٢٧ الفصل الحادى عشر والد يوسف

١٤١ الفصل الثانى عشر يوسف بجانب ابيه على فراش الموت

١٥٤ الفصل الثالث عشر يوسف فى ايامه الاخيرة

مكتبة جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية
بشارع سمعان بشبرا مصر

تقدم الجمعية وافر شكرها للاله القدير الذى أعانها بنعمته حتى تمكنت فى فترة وجيزة من نشر الكتب الموضحة بعد وتشكر حضرات الغيورين الذين شجعوها بتعضيدهم وتطلب اليه تعالى أن يستخدم هذه المجهودات لمجد اسمه وخير كنيسته وخلاص النفوس.

كتاب أسرار البكنيسة السبعة

- « مريم العذراء
- « طريق السماء
- « يسوع المصلوب
- « تأملات روحية
- « أجبية السبع صلوات
- « الخولاجى المقدس
- « تاريخ أنبا برسوم العريان
- « سيرة الشهيدة دميانة

كتاب ترانيم ومدائح منتخبة

« العبد المملوك

« التثليث والتوحيد

« عزاء المؤمنين

« حياة يوسف

« اعجوبة فقل جبل المقطم وحياة الانبا ابرآم وسمعان الدباغ

« المرشد الامين فى تعليم لغة المصريين

رواية مريم المجدلية

١٣ صنف من المدائح والقصص المختلفة

دروس مدارس الاحد القبطية الارثوذكسية

0780

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Nov-Dec 1987
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 058186733